

OLIN

PJ

7864

A5

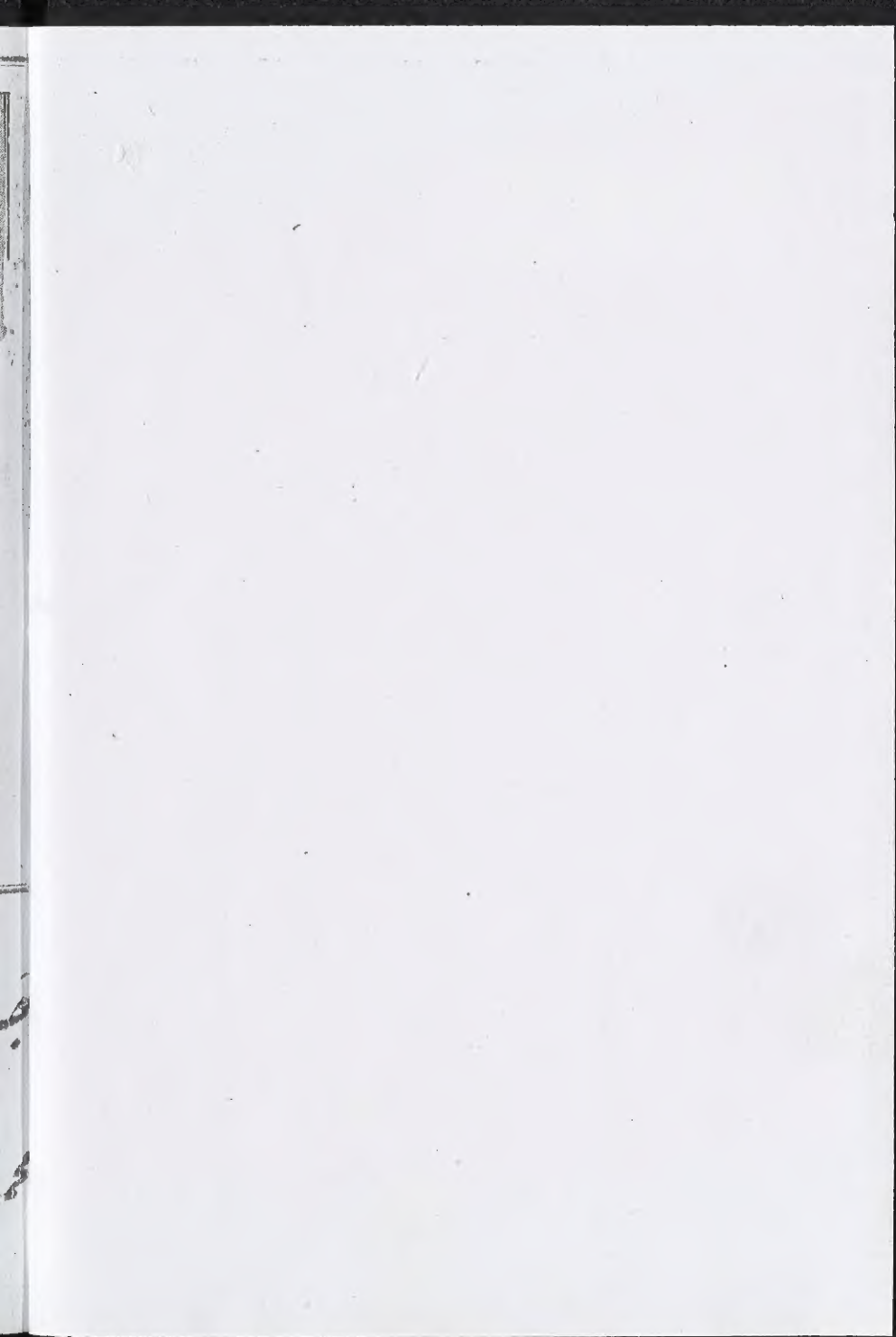
R35

1928

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 095 837 260





جیب افندی

تألیف

محمد و نجبور



Cornell Univ.

Email dtd 1.11.07

محمود تیمور

زَجَبِ افندی

قصه مصریه

مُزین بصور عدیلة من صنع حسین افندی فوزی الرسام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

رجب افندى قصة عصرية مصرية ذات موضوع بسيط ،
كثيراً ما يتكرر حدوث امثاله في حياتنا اليومية . حاولت
فيها أن أحلل نفسيات بعض أفرادنا من الطبقة الوسطى والحقيرة
وأن أكشف الستار عن جانب من جوانب يبتهم . فالقصة
صفحة من حياتنا النفسية والاجتماعية .

وقد نُشرت على عشرة أقسام في « البلاغ الأسبوعي »
الأغر في صيف عام ١٩٢٧ . ولسكني صححتها بعد ذلك
وحذفت منها ما وجدته لا يتفق ومذهب التجديد والتطور
للقصة المصرية حتى أصبحت بشكلها الحاضر تختلف اختلافاً
كبيراً عما نُشر قبلاً .

واعترافا بالجميل أقدم وافر شكرى لصديقى الفاضلين
السيدى « زكى طلبات » و « طاهر راشد » على ملاحظتهما
القيمة التى أبدياها لى عن هذه القصة وعن غيرها ، مما كان له
أثر كبير فى اصلاحها .

وفى الختام أرجو من القارئ الكريم أن يغض النظر عما
يصادفه أثناء مطالعته من نقص أو زلل . وموعدنا ان شاء الله
فى كتابى القادم : « الحاج شاي وأقاصيص أخرى » .

مايو سنة ١٩٢٨

لبنان . سويسرا

محمود تيمور



رجب افندى

رجب افندى أو الشيخ رجب شخص ليس افنديا صرفا ولا شيخاً صرفا . يلبس الجبة والقفطان والطربوش . قارة يسميه بعضهم الأستاذ رجب أو الشيخ رجب . وطورا يدعوه البعض الآخر رجب افندى . ومنهم من يطلقون عليه وهم متحIRON اسم الشيخ رجب افندى . أما العامة من معارفه فلا يعرفونه الا بعم رجب افندى . واذا سألته عن اسمه وعما يجب أن ينادوه به نظر اليك بحيرة ولم يستطع أن يجيب كأنه لا يعرف حقيقة هذا الاسم . له جسم نحيف بقامة متوسطة ، ووجه شاحب مخطط بتجاعيد الهرم المبكر ينم عن دعة وهدوء واستسلام ، ولحية صغيرة كثيرا ما ينزع شعيراتها بلا قصد أثناء تعمقه في التفكير . يبلغ من العمر الخامسة والثلاثين ويعيش وحده فى طابق صغير بجهة سيدنا الحسين . نفور بطبيعته من المجتمع ، راغب فى الزهد وله ميل فطرى وغرام لا حد له بالدين . اذا دخلت مسكنه الصغير شعرت بوحشة تملأ نفسك يشعربها المرء اذا اجتاز مكانا خربا مظالما . فاذا

دنوت من باب حجرته الخصوصية وسمعته يُرتل القرآن بأنعام
حلوّة هادئة بدأت تلك الوحشة التي اعتراك تتبدد ووقفت
صامتا بخشوع تسمع آي القرآن الكريم يرددها ذلك المتعبد الصالح
فاذا دخلت الحجرة وغمرت ظلمتها وهدوءها وهب عليك هواؤها
الرطب وميزت أنفانها البسيط النظيف ايقنت أنك في جامع من
جوامع الضياع بعيد عن الزخرفة والفن. في هذا المسكن يعيش رجب
ممنعا بعزلته وزهد. يبرح فراشه كل صباح مبكرا ليشتف سمعه
بأذان الفجر، يستنشق نسيم الصباح العليل ويتمتع بذلك الهدوء
الجليل ثم يصلي فرضه ويعكف بعد ذلك على مطالعته وتأليفه.

نشأ في منزل عمه الشيخ أبي المحاسن بعد ان فقد أبويه .
وتعلم علومه الاولى في إحدى المدارس الابتدائية الراقية حيث
تركها قبل أن يتم دراسته فيها ، مفضلا الانزواء في ركن من
أركان منزل عمه . حسبته فيه أن يعيش عيشة المتصوفين الزهاد .
وقد كان معروفا بين رفاقه في المدرسة بنزعة الدينية المتطرفة
فكانوا يعارضونه ويشاكسونه في أمور الدين رغبة منهم في اثارة
غضبه فكان ينسى نفسه بالرغم منه ويخرج عن طبعه الهادئ
فيهاجمهم بعناد ويعاقبهم بلا رحمة . وكان الرفاق يخشون بطشه

ولكنهم كانوا يضمرون له المحبة والاحترام . كثيراً ما كان يحتلى باستاذ الديانة يحادثه محادثة الند للند في تفسير الايات القرآنية . وكان الاستاذ يحله ويعامله معاملة خاصة ويعتمد عليه في تعليم التلاميذ مبادئ الوضوء والصلاة وتفهمهم بعض الدروس . وكان رجب يجمع التلاميذ في فناء المدرسة — في فترة الظهر — وينذهب بهم بالرغم منهم الى المغسل ليتوضئوا ثم الى المصلى ليؤدوا فريضة الصلاة جماعة خلف الامام ، أستاذ الديانة . وكان يجد مشقة كبيرة في جمعهم اذ كانوا يهربون منه . وطالما تذر واهجاراً لاعتدائه على حريتهم في ساعة من أقدس ساعات لعبهم .

وقد أراد عمه أن يزوجه من احدى بناته فرفض الزواج . ووجد في هذا الرفض فرصة تعينه على الانفصال اذ شعر بحاجة القصوى الى الهدوء الشامل الذي لا يجده في منزل عمه . وذهب من وقته الى جهة سيدنا الحسين حيث أجر طابقة الصغير . يمضي رجب أغلب أيام الاسبوع في منزله لا يخرج منه . وتقوم بخدمته الضرورية امرأة عجوز تكاد تكون ضريبة فقدت احدى عينيها وتشكو دائماً من أمراض تصيب العين الأخرى . تشتغل بجمع القاذورات وتدعى (أم نبوية الزبالة) .



— أم نبوية —

وهي امرأة مهتمة النفس والجسد تلبس دائماً السواد وتستعمل
الطرحه نقاباً لوجهها حشمة ووقاراً .

أحبها رجب وبرّها بنقوده وطعامه واجبته هي أيضاً وأخلصت له إخلاص الام لولدها .

إذا خرج رجب من (مكان عبادته) يذهب عادة الى خان الخليلي عند صديقه الشيخ عبد الوهاب المكي بائع المباسم (الافام) والمساج ، يمضي الوقت معه يقرأ كتاب البخاري أو دلائل الخيرات . وقد يأتي بعض مجاوري الازهر وجماعة من الحجازيين - منهم الفقير الذي يستجدي ومنهم التاجر الذي يتبادل مع الشيخ بعض المتاجر الصغيرة - يشاركون رجباً في قراءته أو يستمعون له ، يشربون الشاي العطري امام الحانوت ويزاحون المارة في غدوهم ورواحهم .

وحانوت الشيخ عبد الوهاب المكي صغير لا يسع أكثر من مقعدين ، قديم لكنه نظيف كصاحبه . أما الشيخ نفسه فشريف من أشرف الحجاز أناخ عليه الدهر في بلده فرحل الى مصر واستقر في خان الخليلي يتاجر في المساج والمباسم والشاي . يروى عن نفسه أن جده كان شريفاً من أمراء الحجاز . يمتاز بشعره الغزير الكث وحاجبيه المهدلين . وهو مع بشاعة منظره دائم التلطف والابتسام ، حلو المحضر ، مؤانس كريم الاخلاق .



— ❧ الشيخ عبد الوهاب المكي ❧ —

عاش رجب على هذا المنوال حقبة من الدهر قرير العين
بعزلته ، منعماً بإيمانه ، لا يكدره مكدر ، حتى وقع له حادث بسيط
في نوعه كان له تأثير عظيم في مجرى حياته كلها .

ذهب مرة الى حانوت الشيخ عبد الوهاب المكي كعادته .
وبعد أن شرب الشاي وقرأ في كتاب البخارى ودلائل الخيرات
حضر مجاور فقير رث الهيئة يدعى الشيخ عبد الحى ، يتناول
الاحسان من الشيخ المكي ومن رجب إفندى في بعض الأحيان .
روى لها خبراً هاماً عن شخص من مُحَضَّرى الارواح يقوم بأعمال
غريبة تكاد تشبه السحر . يستطيع أن يحضّر الارواح ويستكتبها
أجوبة على أسئلة يلقيها عليها . وقد ذاع صيته في القاهرة كلها
وأصبح بيته كعبة الطلاب والسائلين ، يقصده من يريد الانصال
بعالم الموتى الرهيب . وجعل يفيض لها المجاور بما يعلمه عن هذا
الاستاذ وأعماله السحرية . فصادف حديثه الخلاب هوى في قلب
رجب جعله يصغى اليه بانتباه تام . ثم أخذ يسأله عن مسكن الرجل

وكم يتقاضى أجره للزيارة وأجرة للتعليم وغير ذلك مما كان راجعاً
 في معرفته . وقام المجاور أخيراً فأعطاه رجب ما فيه القسمة من
 النقود . أما الشيخ عبد الوهاب المبكي فاكتمى بتقديم كأس الشاي
 له في أول الزيارة ثم منحه في نهايتها ابتسامة عذبة ولفافة من التبغ
 والاستاذ الروحاني السالف الذكر رجل أرمني يدعى أنه
 أسلم رسمياً منذ سنين في المحكمة الشرعية وأدى فريضة الحج ثلاثة
 أعوام متواليات . نشأ في البيئة المصرية الصحيحة فاكتمى لمجتها
 وتطبع بموائدها . اتخذ له مكتباً كمكتب الحماماء في طابق صغير
 بجي السيدة زينب ، زينه من الخارج بياضات كبيرة مكتوب
 عليها بأحرف الثلث والرقعة :

الحاج أحمد حلجيان

« سمسار عقارات وأطيان وقومسيونجي لكافة بضائع أوروبا »

كان في الأصل سمساراً للعقارات والأطيان ووسيطاً لجلب
 كافة أنواع البضائع . ولكنه فشل في مهنته واشتغل في تحضير
 الأرواح اذ وجدها صناعة رابحة لا تتطلب منه مجهوداً شاقاً .

ورجع رجب الى منزله وهو يفكر كثيراً في أقوال المجاور
وحديثه عن الحاج أحمد حلجيان الاستاذ الروحاني الكبير .
وجعل يستعيد رواياته ويتمثل حوادنها في مخيلته . ثم أخذ يرسم
مشروعاً خاصاً لزيارة مكتب هذا الاستاذ وتحضير روحى أمه
وأبيه . ثم يتفق معه بعد ذلك على دراسة هذا العلم دراسة وافية ،
وشعر بسرور يخالطه بعض الخوف والحزن حيناً ففكر في تحضير
روحى أمه وأبيه . وكان قد وصل الى باب منزله فصعد درجات
السلم فى ظلام دامس لأن الشمس كانت قد غربت منذ نصف
ساعة . ف شعر بخفقان قلبه وداخله رعب شديد وخيل اليه أن أحداً
يتبعه فالتفت بذعر فلم يجد غير الظلام . ولكنه شعر بارتجاف
مفاصله وأحس من نفسه رغبة شديدة فى الصراخ مستنجداً . وكان
يجري قافزاً على درج السلم فبلغ طابقه وهو يلهث من التعب اذ لم
يكن متعوداً على حياة الحركة والنشاط . وأشعل المصباح بسرعة
بيد مرتجفة وقلب مضطرب وهو يتعم مستعيناً بالله من الشيطان
الرجيم . وأضاء المصباح ردهته بضوء ضئيل اطمأن له قلبه فى
بادئ الأمر . ولكن سرعان ما عاوده خوفه واضطرابه اذ كان

النور الضعيف المنبثق من المصباح لا ينير له الا جزءاً صغيراً من الطريق الذى يسير فيه ، فضلاً عن أن هذا النور الضئيل يرسم من عادته على الجدران وعلى أرض المكان خطوطاً ودوائر تشبه الأشباح . وسار رجب قاصداً غرفته ومصباحه يهتز فى يده ولكنه بغتة توقف اذ سمع صوتاً غريباً خارجاً من حجراته . وأنصت فاذا الصوت واضح واذا به حقيقة لا خيال . فاشتد ارتجافه وتقلص وجهه وجعل يستعين بالله من الشيطان بصوت عال ارهاباً لمن فى الحجرة من جن أو انس . ولكن الصوت لم ينقطع ، وكان يشبه حشرة الأموات . فارتد الى الوراء واستند الى جدار الردهة وقد شعر بوهن قوته من فرط رعبه . . . من يكون فى حجراته ؟ أهو روح خبيثة جاءت تشكل به ؟ أم روح أمه أو أبيه جاءت لتسأل عنه ؟ ولم ذلك الصوت الذى يشبه حشرة المذبوحين ! أوجد شخص يسلم الروح فى حجراته ؟ ومن أين أتى ؟ . وتزاحمت عليه الافكار والصوت لا ينقطع . وتكلم بعد مجهود كبير فاذا صوته خشن متقطع يخرج بصعوبة من حلقه الجاف وقال :



مَنْ .. مَنْ هُنَا .. نَكَلِّمُ مَنْ أَنْتَ ؟ ...

فلم يجبه أحد وظل الصوت على حاله الاول لا ينقطع . فصرخ
صرخة رعب شديدة وقد وجد نفسه في موقف لا يستطيع فيه
النكوص على أعقابهِ هارباً أو التقدم الى الامام مهاجماً . وجعل
يردد بصوت مبجوح مرتجف :

— الىَّ الىَّ يا أهل المروءة . . يا أهل النجدة . . أكاد
أهلك . الىَّ . الىَّ .

فاذا بصوت أجش يجاوبه من الحجرة قائلاً :

— من الذي يزعم هكذا . من هنا ؟

فأنصت رجب أفندى وقد اطمأن قليلاً . ثم تشجع عن ذى

قبل وقال :

— أنا رجب . رجب . من أنت ؟

وسمع حركة في حجراته ثم شاهد بعد هنيهة شبهاً ملتصقاً بالسواد
يسير ببطء خارجاً من الباب . فتفرس فيه وهو ما زال يغالط نفسه

ثم صرخ صرخة الاطمئنان والفرح قائلاً :

— أم نبوية !! الحمد لله يارب . . ما هذا يا شيخة . كدتُ

أهلك من الرعب . . ليس من عادتك أن تتأخرى لهذه الساعة

في المنزل . ولكن خبريني ما هذا الصوت الغريب

كنت نائمة يا بنى

واقتربت منه بتمهل وهي تدعك عينيها بأصابعها . ثم أخذت منه المصباح ونظرت في وجهه فها لها اصفراره فقالت له برعب :
— ما هذا . هل انت خائف يا بني . وجهك شاحب للغاية باسم الله الحفيظ .

فأسند يده الى كتفها . ودخل الحجرة متمهلاً . ثم طالب منها بصوت خافت أن تأتيه بقلعة المياه ليشرب منها . فأتته بها فجعل يكرع منها بشغف عظيم حتى ارتوى . وجلس على فراشه منهوك القوى يشعر بكسل وضعف شديدين ورغبة كبيرة في النوم . وسألته أم نبوية عن سبب رعبه فاخبرها خبر المجاور والحاج احمد حلجيان ورغبته في الذهاب لتحضير روح أبيه وأمه . فدنت منه وقالت له :

— انت محتاج لأن ارقبك . مضت مدة طويلة لم أرقك فيها .. لا تفكر في حلجيان ولا ملجيان . ونم مستريحاً هادئاً .
فصدع بأمرها صدوع الطفل بأوامر أمه . ونام بملابسه على الفراش . وبدأت أم نبوية رقيتها قائلة :
— الأولة بسم الله والثانية باسم الله والثالثة حصوه في عين التي ما يصلي على النبي ...

وكان رجب افندي يسمع تلك الرقية بعذوبة وانسراح . فأقبل
جفنيه وسبح في أحلام وذكريات جميلة كان وجهه المشرق الباسم
يتم عليها . ثم انتقل وويداً الى عالم النوم وهو يشعر براحة جسدية
ونفسية لم يشعر بهما قبلاً . ولما انتهت أم نبوية من رقيتها جعلت
تبصق على الارض متممة باللعنات على الشيطان ثم غطت رجب
افندي بالاحاف ونقلت المصباح الى الخارج ثم جلست . تربعة
على حافة الحصير بجوار فراشه .



ونام رجب نوماً عميقاً . وفي الصباح استيقظ مبكراً ، وكان نور الفجر قد بدأ ينتشر في السماء فيفسح للشمس مكانها قبل الاشراف . فترك فراشه وذهب الى النافذة وبدأ ينظر الى السماء الصافية مبهتجاً مسروراً . ثم أدى فريضة الصلاة وقرأ ما تيسر من القرآن والاوراد . وجاءته بعد حين أم نبوية بالطعام مع قهوة الصباح فاكل بشهية زائدة . وأخبرها بأن رقيتها كان لها تأثير السحر على نفسه فنام ليلة أمس نوماً هادئاً جميلاً ، لم يذق مثله منذ أيام . قام على أثره متعافياً نشطاً .

وأما رجب الشطر الاول من يومه على أحسن حال . وبدأ ينسى حديث الارواح وأخبار حاجيان . . ولكن رغبة مجهولة أخذت تحوم حول رأسه تريد اقتحامه فهي تدنو ثم ترتد ثم تدنو ثانية بعناد ومكابرة . وأخيراً أفلحت في اقتحام دماغه في هواة واين ومن ثم أخذت تتسع شيئاً فشيئاً محملة بالتدريج بمناطق تفكيره .

ولما بدأت الشمس تغرب شعر بانقباض ووحشة . وجاءت أم نبوية تسأله هل يطلب شيئاً . فشكرها وطلب منها أن تنصرف اذا

أرادت ، وأن لا تتعب نفسها من أجله . وكان في صوته رنة متكلفة تخفى حقيقة رغبته ، لم تغب عن أم نبوية فعرضت عليه مبيتها هذه الليلة لترقيه وتؤنسه فقبل في حياء وارتباك .

ومضت ثلاثة أيام ورجب هادىء هدوءاً ظاهرياً ، يحس شعوراً غامضاً يسبب له الانفعال والضيق . ولازمته أم نبوية طول هذه المدة فقامت على خدمته باخلاص وحنو . وكان اليوم الرابع يوم الجمعة فذهب ليؤدى الصلاة في جامع سيدنا الحسين كالمعتاد . وقابل هناك الشيخ عبد الوهاب المكي فسلم عليه الأخير بالبشاشة والتهليل وأخبره أن الشيخ عبد الحى الأزهرى جاءه عدة مرّات يسأل عنه ، يريد أن يفضى إليه بأخبار جديدة عن الحاج حلجيان محضّر الارواح . فاذا رغب فى مقابلته لسماع هذه الاخبار فليحضر الى الحانوت عصر اليوم حيث يجد الشيخ منتظراً اياه . فظهر الارتباك على وجه رجب واخفض رأسه صامتاً . فسأل الشيخ المكي عن سبب سكوته فأخبره بحيرة وانفعال بأنه لا يستطيع مقابلة الشيخ عبد الحى لانشغاله هذه الايام بتأليف رسالته .

ورجع الشيخ المكي الى حانوته بعد الصلاة وهو حامل

غذائه في منديله وقد عزم أن يخبر الأزهري بما سمعه من رجب ..
ولما وافى العصر استيقظ الشيخ من نومه وفتح حانوته . وبعد أن
توضأ وصلى وتناول قهوة العصر خرج في الطريق وجلس بجوار
الباب يمشى الباب بمنشته . وبعد قليل جاء الشيخ عبد الحى يهرول
في جلبابه . ولما استقر به المقام أخبره الشيخ المكي أن رجلاً لن
يقابله اليوم . وروى له حديثه معه في الجامع . فظهر الاستياء على
وجه الأزهري وصاح غاضباً :

— لقد أضاع على فرصة ثمينة بسبب تخلفه عن الحضور

— ولم ذلك ؟

— أنا رجل فقير كما تعلم وليس معى ما أنفقه على دراسة
تحضير الأرواح ، التى شغفتُ بها شغفاً كبيراً . ولكن الاستاذ
حلجيان قبل أن يعلمنى بلا أجر اذا انضم معى شخص يدفع نفقة
التعليم لنفر واحد . وكنت أوّمل أن يكون هذا الشخص رجب
أفندى لما بدا الى من اهتمامه بأمر تحضير الأرواح ... والآن
ضاعت الفرصة وعلى أن أبحث على شخص آخر .



—o— الشيخ عبد الحى —o—

* * *

والشيخ عبد الحى أزهرى فشل فى دراسته ، مصاب بلوثة
الفلسفة الروحانية والبحث عما وراء الطبيعة . فلاح من أبناء
الريف ، له جسم ضئيل ، اذا سار أمامك خلفه هيكلا عظيماً
مرتدياً ملابس الاحياء . تنبت فى وجهه حية جرداء كما تنبت
الحشائش البرية فى الصحراء .

* * *

وفى ما كان الشيخان يتحادثان اذ أبصرا برجب آتياً على مهل

فدهش الشيخ المكي لذلك . وقام الشيخ عبد الحى فرحا وهلل
بالقادم مسلماً .

وجلس رجب بجوار الشيخ المكي وقال له :
— حضرتُ يا أستاذ لمسألة هامة ، لولاها ما فارقتُ كتبى
وأوراقى فقد كنتُ مشغولاً فى بحثٍ لذيذٍ عن الزهد والتصوف .
ثم أخرج من جيبه مسبحته القديمة ونثر حَبَّاتها على مائدة
الشاي وأتمَّ كلامه قائلاً :

— هذه مسبحة مفككة ليس عندى سواها . فهل لك أن
تتكرم باصلاحها ؟

فابتسم الشيخ عبد الوهاب وجمع حَبَّات المسبحة ، يعدها
واحدة واحدة ويفحصها فحس خبير ثم قام الى حانوته لينظّمها
من جديد . ويضع بدل الحَبَّات المفقودة ما يعادها مما عنده .
وفى هذا الوقت أخذ الشيخ عبد الحى يحدث رجلاً باسهاب عن
حليجيان ويحرضه على زيارته والتلمذ عليه .



لما خرج رجب من الجامع بعد أداء فريضة الجمعة كان معتزماً
 حقاً الاعتكاف بقية اليوم في منزله يؤلف رسالته . فبعد أن تناول
 طعام الغداء تمدد على فراشه واستغرق في النوم فرأى حلاًماً غريباً :
 رأى كأنه في منزله القديم الذي نشأ فيه صغيراً ، جالساً على بساط
 الردهة وحوله أشخاص عديدون من نساء ورجال لا يعرف منهم
 الا عمه الشيخ أبا المحاسن وعمته زوجة الشيخ . وكان بالقرب من
 عمه رجل معمم ذو لحية سوداء غزيرة الشعر ، يتوكأ على عصا
 بيضاء ويرتدى جبة بيضاء . وسمع عمه يكلمه بصوت مرتجف
 حزين ، فعلم من هذا الحديث أن هذا الرجل « والده » ولم يكن
 يتذكر من ملامحه وشكله غير لحيته السوداء . وشاهد الجمع
 يتكاثر والازدحام يزداد وشعر باختناق تنفسه . ورأى كأن والده
 يشير اليه بالحاح يريد محادثته ، ولكن عبثاً استطاع رجب أن
 يجيبه وان يقصد الى الجهة التي كان فيها لان قوة مجهولة كانت
 تعمل على تفريقهما وابعاد الواحد عن الآخر واختفى كل شيء
 بعد لحظة . ولكن تنفسه ما زال على حاله الاول مضطرباً مختنقاً .
 وكأنه انتقل الى مكان مجهول يغمزه الظلام الحالك . وشاهد في
 هذا الظلام وجهاً غريباً بلحية صفراء طويلة ، يتبسم محرّكاً عينيه

حركات غريبة ، ثم أحاط بذلك الوجه أطار كأطار الصور القديمة .
وجعلت يد مبهمة تكتب عليه بعض الحروف فإذا هي في مجموعها
« الحاج حلجيان » . ثم ظهر حول الاطار بعض أشباح بيضاء لم



« وشاهد في هذا الظلام وجهاً غريباً »

يستطع رجب أن يميزها ، كانت تحوم حائرة فكانها ترقص برعب
ثم كثرت الاشباح رويداً رويداً حتى ملأت المكان . وبقية
اختفى كل شيء . وازداد اضطراب تنفسه وشعر كأن هناك يداً
خفية أمسكت برقبته وجعلت تضغط عليها ببطء وشدة . فجحظت
عيناه وأراد الصياح فلم يخرج صوته من حلقه . وبدأ يجاهد في
مبيل خلاص نفسه من تلك اليد المجهولة . وكان صراعا صامتا
هائلا . . . وانتيقظ فزعا من النوم فرأى نفسه يتقلب على حصير
الغرفة ووجد إحدى يديه قابضة على عنقه بقوة شديدة .

جلس رجب على السجادة يتنفس تنفساً متقطعاً ويدها
ترتجفان . ثم زحف الى جهة النافذة وأخذ القلة فكرع منها بضع
جرعات شعر على أثرها يبعث الراحة . ورجع الى مكانه وهو
يجفف وجهه وزأسه المبللين بالعرق البارد . وكان أثناء ذلك يردد
قوله « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أعوذ بالله من ابليس
اللعين » . ولما أخذ قسطه من الراحة قام وتوضأ وصلى العصر
وفتح المصحف الشريف فرتل آيات من آياته الكريمة بصوت
غير منتظم ثم قام الى المائدة فوضع عليها دقاتره وأقلامه معتزماً
أن يشتغل بالتأليف بقية يومه . وبدأ يكتب فاذا القلم يهتز في

يده لا يخطّ الا كتابة عوجاء سقيمة . وجعل يجمع فكره المشتت
فاذا بافكاره عاصية متمردة تفلت من رأسه هنا وهناك فلا يستطيع
ضبطها . وأخذ بعض الكتب يقرأ فيها فوجد بعد مدة طويلة
انه لم يقرأ الا أسطراً قليلة واذا به يهيم في عالم الخيالات غير
المرئية . وأخيراً ناجى نفسه بحجة قائلًا :

— وأخيراً ... ! ألا أستطيع العمل . يجب أن أولف .
يجب اتمام الفصل الذي بدأته .

وأمسك القلم وعصر مخه وبدأ يكتب ما يأتي :

« الذات الالهية العليا محجوبة عن الابصار ، كائنة في كل
زمان ومكان ، في الهيمولي منذ الازل وفي النهاية الى الابد .
الذات الالهية ... »

وتوقف عن الكتابة وجعل يقضم القلم بأسنانه . ثم بدأ يطلق
العنان لخيالاته . فاذا به يناجي نفسه قائلًا :

— وهل حقاً يريد أبي أن أحاده . ولماذا يا ترى . . لا
أدرى لذلك من سبب مطلقاً ... ربما كان راغباً في شيء . . .
يشتهي شيئاً ... من يدري . .

ثم نظر الى الصفحة وبدأ يتمم ما كتب فاخرج القلم من بين
أسنانه وقد كاد يحطمه . وشرع يكتب :

« ... الذات الالهية المفروض على الانسان تبجيلها ليس لها
 كيان ولا جسم ولا رسم ولا وصف ولكنها الشكل في الكل ،
 تغمر الارض والسماء بنورها وحكمتها وشرعها ... »
 وأدخل ثانياً القلم بين أسنانه ورجع الى قضمه وهو يناجي
 نفسه قائلاً :

— وهل من الضروري أن يكلمني وأكله ... وكيف
 يكلمني ... أتتهم الارواح بمن على الارض ... ولم تهتم ...
 ألم اشاهد الذبابة الزرقاء في الاسبوع الماضي تحوم حولي طول
 اليوم . ولما سألت عنها الشيخ المسكي أخبرني بأنها روح
 من أرواح موتاى ... روح امي أرواح أبي مثلاً ... من
 يدرى . ربما كانت روح أبي ...

ثم وضع القلم بهدوء وأقفل كراماته وكتبه بصمت كأنه لم
 يفعل شيئاً . وقال لنفسه مستسلماً بكآبة :

— ان افكارى اليوم مضطربة من تأثير الحلم الملعون
 وفتح الخزانة وجعل يبحث فيها عن شيء كان يفتكر فيه
 ويريد الحصول عليه . فلما عثر عليه تنفّس الصعداء وقال :

— هذه المسبحة متروكة من زمن طويل هنا . انها
مفككة وغير صالحة للاستعمال . أليس من المستحسن اصلاحها
عند الشيخ عبد الوهاب المكي ؟
وقام وقد صحت نبتة على الخروج



وعاد الشيخ المسكى الى رجب فقدم اليه المسبحة منظومة
الحبات براءة اللون فاخذها رجب ودفع للشيخ عن اصلاحها .
وتكلم الشيخ عبد الحى وقد اعتدل في جلسته متأهبا للقيام ،
وقال موجه كلامه لرجب :

— هيا اذن نذهب الى الرجل . لعلك تجد على يديه
الخير والبركة .

والكنى ارى الوقت غير مناسب للزيارة . لقد اظلمت
الدنيا .

— هذا افضل . ان حلجيان يمكث في محله الى ما بعد صلاة
العشاء بوقت طويل : أعلم انه يفضل العمل ليلا على العمل نهاراً .
فتمسكاً رجب في الاجابة وقد شعر بأنه قادم على عمل
رهيب . ولكن الشيخ عبد الحى جعل يلح عليه ويغريه بطرق
عديدة . ثم أمسك بيده وقام وقد اعتزم أن يأخذه معه .
والتفت الى الشيخ المسكى وقال له :

— نحن ذاهبون للحاج حلجيان . لعل الله يفتحها في وجهنا
هه . السلام عليكم .

— وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وسار رجب مع الشيخ عبد الحى ، وهو لا يدري اذا ذهب
حقا الى حاجيان أو الى منزله . لقد كان فى شبه ذهول ، تدفعه
الرغبة للاستسلام للشيخ ويمنعه الذعر من مجاراته . كان يسير
متمهلا يفكر بحيلة ويدها تحرر كان حبات المسبحة باضطراب . ولما
طال صمته التفت اليه الشيخ عبد الحى وسأله قائلا :

— لماذا أنت صامت وحالتك غير اعتيادية . ما الذى
تفكر فيه ؟

فوافق رجب من ذهوله وأجابه :

— أنا صامت وحالى غير اعتيادية ! .. أبدا . كنت أفكر
فى مسألة بسيطة لا شأن لها فيما نحن ذاهبون اليه :

وسارا مخترقين شارع الموسيقى حتى اقتربا من محطة ترام
الخليج فانتظرا هناك وكان الشيخ عبد الحى قد أطلق لسانه
بالسكلام فجعل يحدّث زميله أحاديث مختلفة ويروى له بعض
الفكاهات حتى سرى عن رجب بعض الشيء . وجاء الترام
فركباه ، وما كادا يستقر بهما المقام حتى صعد على سلم المركبة غلام
رث الهيئة ، تقدّم نحو رجب وصاح موجهًا نداءه اليه :

نتيجة طوابع الملوك والسياسات والطواخي .

ثم دنا منه وأسر في أذنه قائلا :

قصيدة الطوابع التي فيها أخبار أنور باشا ومصطفى كمال . . !

فاشترى رجب تقويعا من الغلام . وما كاد يفتحه حتى خطفه

منه الشيخ عبد الحى وقال له على الفور :

— سأقرأ لك القصيدة وأفسرها . اننى على علم تام بكل ألقاها .

وبدأ يقرأ بصوت عال سمعه كل من في المركبة . وجعل

يفسر الألفاظ بسرعة يخالها السامع مهارة فائقة . فاجتمع نفر من

الجالسين حوله واخذوا يصغون لسكلامه أو يطر حون عليه الأسئلة .

وهكذا مرّ الوقت . ووقف الترام أخيراً فى محطة « السيدة »

فنزلا . وسار الشيخ عبد الحى بخطوات واسعة وخلفه رجب

يجتهد فى اللحاق به . ودخلا حارة ضيقة خالية من المارة لا يضيق

الا مصباح واحد من مصابيح الطرق ، له نور ضئيل ينبعث من

فتيلة ممرقة . فعاودت رجب بعض مخاوفه ولحق بالشيخ عبد الحى

وهو يلث من التعب . وقال له :

— لماذا تسير بهذه السرعة . تهمل قليلا . أشعر بأنة طاع نفسى .

— لأننا نريد أن نجد الرجل قبل رحيله .

— ولكنك قلت لي أنه يمكث إلى ما بعد صلاة العشاء
بوقت طويل .

— ليس في كل الاحيان .

واقتربا في تلك اللحظة من المنزل الذي يشغل طابقه الأعلى
الحاج حلجيان فتوقف الشيخ عبد الحى عن المسير ورفع نظره الى
فوق فرأى النور ينبعث من الطابق فقال لرجب :

— الحمد لله لم ينزل بعد .

ودخلا المنزل وكان بابه غير مقفل فوجد رجب نفسه في ممر
ضيق مظلم تنبعث منه رائحة عفنة . وأشعل الشيخ عبد الحى عوداً
من الثقاب أنار لها الطريق قليلا . واتجها نحو السلم وصعدا بتمهل
وحذر . وكان الشيخ عبد الحى يشعل أعواد الثقاب الواحد بعد
الآخر . وأخيراً وقفا أمام الباب . وتقدم الشيخ فدفقه . وبعد
لحظة انفتح وظهر على عتبة شخص يرتدى الملابس الافرنجية
ويستعمل الطربوش اللين المهدم الجوانب . وكان هذا الشخص
حلجيان نفسه . فلما رآهما وعرف منهما الشيخ عبد الحى رجب
بهما وأدخلهما غرفة الانتظار ريثما يتم « عمله في غرفة المشورة »
كما يسميها . ولما استقر بهما المقام بادر رجب رقيقة قائلاً :

— أهذا هو حلجيان أفندى ؟



وبعد لحظة انفتح الباب وظهر على عتبة... (الحاج حلجيان)

وكانه لم ينتظر أن يراه بهذا الشكل . فقد تخيله شخصا بدين الجسم برأس كبير ووجه عريض ولحية صفراء مدلاة على صدره . فإذا به نحيف الجسم بوجه طويل وشارب رفيع ممتد على صدغيه . شخص اعتيادي ليس له هيبة ولا اعتبار .

وبعد برهة قصيرة ظهر حلجيان يدعوهما الى أن يتفضلا بالدخول في حجرة « المشورة » . فقاما وسار الشيخ عبد الحى فى المقدمة ورجب يتبعه ، ونفسه تحدته بالخيبة والفشل . ولما دخل حجرة « المشورة » وجدها أكثر تنسيقاً ونظافة من الأولى . بها مكتب من الطراز القديم عليه اكوام من الجرائد والأوراق مكسدة باهمال . ومعلق على احدى حيطانها صورة كبيرة تمثل حلجيان يحضر الأرواح ، راقى لرجب وعدّها أحسن شيء صادفه الآن . ثم مائدة بثلاثة أرجل تتوسط الغرفة ، هى بلا ريب مائدة التحضير . بيت القصيد فى هذا المكان .

وتكلم حلجيان أخيراً وقال :

— شرفتم وأنستم يا أفندى . لقد نورتم البيت . أهلاً وسهلاً ومرحباً .

وصفق بيديه منادياً الغلام ، قائلاً :

— يا عبد الفتاح ، يا عبد الفتاح . القهوة يا ولد سريعاً .

وفما كان عبد الفتاح يجهز القهوة أخذ الشيخ عبد الحى يشرح
لحليجان المسألة فطرق الموضوع رأساً . وأخبره بأن رجب افندى
يريد أن يتعلم « تحضير الارواح » ويرغب الليلة أن يكلم روح
أبيه . ففزع رجب وبادر الاستاذ بقوله :

— ليس من الضروري يا استاذ أن نكلم الروح الليلة .
فلنترك ذلك لفرصة أخرى . أظن أن الوقت غير مناسب .
فأجابه حليجان :

— أبدأ يا افندى أبدأ ، الوقت مناسب للغاية . سنكلم الروح
بكل سهولة الليلة . وإيـهـ الشيخ عبد الحى كلام الاستاذ قائلاً :
— الوقت فى غاية المناسبة . والظروف تساعد الاستاذ .

فرضخ رجب مستسلماً . وقبل البدء فى العمل
فاوض الاستاذ تلميذه فى قيمة الدروس وأوقاتها . وبدأ المفاوضة
بمحاضرة طويلة عن علمه وقوته الروحية الخارقة للعادة ، راوياً
لها نبذاً من تاريخ حياته الحافل بحل المعضلات والكشف عن
الاسرار ، شارحاً لهما بعض الشرح طريقته السهلة فى التعليم ، طريقة
تسميها عقول الاطفال قبل عقول الرجال . ثم ختم المفاوضة باملاء
شروطه . فقُبِلت من غير مساومة . وفاز الاستاذ الشيخ عبد الحى
بأمنيته فى التعليم مجانياً .

كان رجب والشيخ عبد الحى اثناء هذه المحاضرة جالسين أمام الأستاذ ، الأول جلسة الخشوع والخوف يستمع بشغف للحديث ، والثاني جلسة السرور والانفعال يتقسم بجرأة ويحملك بعينه لكل اشارة تبو من الاستاذ ، مرهفا أذنيه لكل كلمة تخرج من فيه .

وما كاد ينتهى الاستاذ من محاضراته حتى شعر رجب انه أمام شخص غير عادى ، شخص عظيم فى ذاته ، كبير بأعماله الخفية الروحانية . فأخذ ينظر اليه باجلال ، مملوء القلب والنفس بروعة سحرية .

وقام حلجيان الى المنضدة وأخبرهما بأنه سوف يحضر لهما روح والدرج افندى . ثم يبدأ الدراسة المنتظمة معها بعد أربعة أيام . ودعاهما الى أن يأخذا محلها بجوار المنضدة .



ووضعوا أطراف أصابعهم على حافظتها . وكان عليها ورقة
بيضاء كبيرة وقلم من الرصاص يكتب به الأستاذ الأسئلة الموجهة
إلى الأرواح والأجوبة التي يتلقاها منها . ولَفَظ حلجيان بعض
أسماء مجهولة بسرعة غريبة ثم حلق بعينيه في شيء مبهم وبدأ
يطلب روح والد رجب افندى باسمها ويعلنها برغبة ابنه في
حضورها . وبعد عدة ثوان اهتزت المنضدة فاهتز قلب رجب
هلعاً على أثرها . وامسك حلجيان القلم ووضع يده على الورقة مخبراً
رجباً بأن الروح قد حضرت وهي قابضة الآن على يده . فامعن
رجب النظر في يد حلجيان ، نظراً تجلى فيه الدهر وحب
الاستطلاع . وكان يدقق النظر في يد الأستاذ ويدور بعينيه
هنا وهناك حولها متتبعاً رسماً وهمياً لشخص أبيه كأنه يريد أن
يكشف حجم روحه وشكلها . ولكنه لم ير غير يد حلجيان
وهي تهتز هزات عصبية فوق الورقة البيضاء ترسم بعض الدوائر
والخطوط والتعاريج بخلط واضطراب كأنها يد طفل صغير تعبث
بالرسم أو الكتابة . ومن بين هذه الخطوط والتعاريج ظهرت له
أخيراً كلمة استطاع أن يقرأها بشيء من الصعوبة فإذا بها
كلمة « ابراهيم » .

فصاح فرحاً بانفعال :

— هو . هو أبى الشيخ ابراهيم

فصوب حلجيان نظره اليه يأمره بأن يضبط شعوره .

وطلب منه بصوت خافت أن يدع أباه يتم كتابة اسمه ، ثم مال عليه وسأله قائلاً :

— ماذا تريد أن تسأله ؟ تكلم

فاجاب رجب بذهول كأنه لم يكن يتوقع هذا السؤال :

— ماذا اريد أن أسأله . أنا !

فامر الشيخ عبد الحى فى اذنه قائلاً :

— تكلم ، تكلم . اسأله عن أى شىء .

فتحير رجب . وجعل يبحث فى ذهنه المضطرب عن

سؤال يسأله للروح فلم يفز ببغيته . فالتفت الى الشيخ عبد الحى وقال له :

— ... ليس عندى ما أقوله له .

وتكلم حلجيان بصوت مرتفع وطلب من رجب أن يكلم

روح والده والاضاعت الفرصة منه هذه الليلة ، وربما ضاعت

الى الابد . فاضطرب رجب وتكلم متلعنا وهو يوجه كلامه ليد

حلجيان ، يخاطب فيها روح والده :

— هل انت أبى الشيخ ابراهيم ؟ وكيف حالك ... هل أنت مسرور ...

فتحركت يد حلجيان وأخذت تكتب ببطء كبير وبخط متعرج اجابة الروح فكانت كما يأتي :

— أنا روح أبيك ابراهيم يا بنى الحمد لله فانى مسرور ...
فتشجع رجب من هذه الاجابة وسر بها . وتحرك بانفعال على مقعده لا يدرى ما يفعل . ودنا من حلجيان يريد أن يكلمه ولكنه لشدة اضطرابه لم يلفظ كلمة ما . وتحول عنه الى جهة الشيخ عبد الحى وفتح فمه يريد أن يحادثه ولكنه لم يتكلم أيضاً . فعاد الى مكانه الاول وهو ينظر الى حلجيان بسداجة وقد افترقه عن ابتسامة ضئيلة . وأخيراً تكلم ببطء ، بصوت مرتجف النبرات موجهاً كلامه للروح . قائلاً :

— وكيف حال أُمى . أُمى قَرَح . أُمى مسرورة أيضاً .
فتحركت اليد من جديد حركاتها البطيئة المتعرجة . فكان جوابها هكذا :

— لقد قضت أمك أيامها المكتوبة عليها فى النار . ولكنها الآن فى الجنة معى .

فخلق رجب افندى في اليدين في وجه حاجبان وقد تقلصت
شفته وتغضن وجهه وتكلم هادياً كأنه يحدث نفسه :

— امي ذهبت الى النار .. لماذا .. وهل أنت شيئاً
يستوجب هذا العقاب وهي الام الصالحة التقية ...

فاجابت الروح على ذلك كأن الكلام موجه اليها :

— هذه أسرار لا يعلمها الاحياء يا بني . فلا تسأل عنها .

ثم امتدت يد حاجبان بعد كلمة « شيئاً » بخط طويل أخذ

ينحني ويدور على نفسه بشكل دوائر داخل بعضها في بعض

وانتهت أخيراً بنقطة كبيرة هي آخر دائرة استطاع القلم أن

يرسمها ؛ دائرة مطموسة بحجم رأس الدبوس . وتكلم حاجبان

افندى مفسراً ذلك الرسم بقوله ، ان الروح ذهبت . فتعجب

الشيخ عبد الحى وسأل ما سبب هذه العجلة في ذهاب الروح

فاخبره حاجبان انها لا بد مشغولة . ثم التفت الى رجب وكان

يتنفس نفساً طويلاً وسأله عما اذا كان يريد أن يكلم ارواحاً اخرى

فهمز رأسه هزة الرفض . وقام حاجبان الى مكتبته فقام الاثنان

على أنره يتبعانه . فلما جلس التفت الى رجب وقال له :

— اتريد أن تعرف أين ذهبت الآن روح أبيك ؟

فاجاب الشيخ عبد الحى كأن السؤال موجه اليه :

— طبعاً نريد أن نعرف : هذا شىء مهم .

واقصر رجب على الاجابة بان حنى رأسه علامة الرضى ،
مذهولاً ينظر نظرات تائهة . وتكلم حلجيان مخبراً ايهم بشكل
محاضرة جديدة ان لكل روح خلقت اوسوف تخلق فى المستقبل
القريب والبعيد مكاناً خاصاً لها فى « العالم الآخر » . هناك يوجد
برج شيدته الملائكة قبل خلق آدم « أبى البشر » وجعلت فيه
عيوناً لا يستطيع ابن آدم أن يحصيها ؛ كل عين مخصصة لكل
روح تخلق على وجه الارض .

فقاطع الشيخ عبد الحى كلام حلجيان قائلاً :

— وهل روحى مثلاً لها عين فى هذا البرج ؟

— روحك وروحى وروح رجب افندى وأرواح كل

الاشخاص الاموات والاحياء والذين لم يولدوا بعد

وكان رجب قد بدأ يعود الى حالته الطبيعية فسأل

جاره مستفهماً :

— ماذا يريد الاستاذ من روحى ؟

فعرف حلجيان أن رجباً كان ذاهلاً فأعاد كلامه من جديد .

وبدأ يفسر له بأسباب خبر برج الارواح . وأفهمه ان روح أبيه
بعد أن تركتهم ذهبت مسرعة لتتلقى الاوامر . ووصف له حلجيان
برج الارواح ببرج على شكل أبراج الحمام ولكنه طويل طويلا
لا تدركه عقول الاحياء .

وانتهت الزيارة فقام رجب بعد أن فقد الاستاذ أجره
مضاعفا . وخرجا من باب الطابق حيث شيعهما حلجيان اليه .
وبدأ الشيخ عبد الحى يشعل أعواد الثقاب كما فعل عند مجيئهما .
وسمعا وهما نازلان الدرج بحذر ، صوت حلجيان ينادي خادمه
عبد الفتاح ليقتل النوافذ ويطفى المصباح لانه على أهبة الخروج
وانتهت أعواد الثقاب التى كان يشعلها الشيخ عبد الحى
فأخذا يلتمسان طريقهما فى ظلام حالك . كان رجب يمشى بحذر
وخوف خلف رفيقه ممسكا كتفه بيده . فلما خرجا الى الحارة
ووجدا نور المصباح الضئيل يضيء المكان بلهبه الازرق اطمان
قلب رجب قليلا وأنزل يده عن كتف الشيخ وسار محاذيا له .
وقطعا طريق الحارة وهما صامتان . فلما خرجا منها واقتربا من
الشارع حيث الحركة والنور تنهد رجب ولفظ « الشهادة » كأن
حملا ثقيلا كان على عاتقه . ثم التفت الى رفيقه وقال له :

— ما أحسن النور والهواء . أين كنا يا أخي طول هذه المدة
وكان الشيخ يريد الاجابة لولا أن جاء قطار السكرباء
فأسرع اليه وهو يقود رجبا خلفه . ودخلا المركبة ولم يكن فيها
أحد سوى شخص لم يتبيناه : هل هو رجل أو امرأة . فقد كان
جالساً في الركن الامامي البعيد بينما اتخذ الاثنان مكانهما في الركن
الآخر . وكان هذا الشخص ملتفاً برداء اسود يختلط على الناظر
معرفته فهو اما قلاء للنساء أو زعبوط من زعابط الفلاحين
أو جبة من جيب المشايخ . لا يظهر من هذا الرداء الا عينان
حادتان تدوران في أرجاء المركبة في حيرة كأنهما تبحثان عن
شيء . فلما استقر برجب وزفيقه المقام تحولت نظرات هذا
الشخص المجهول اليهما وجاء « الكسارى » فاعطاها التذاكر .
وأخذ منهما النقود . واختفى بعد ذلك فلم يره أحد كأنه اغتنم
فرصة خلو مركبته من الناس فذهب الى المركبة الأخرى يشارك
رفيقه الحديث

وظهر الكسل والخمول على سماء الشيخ عبد الحى فبدأ
يتشاءب ويتمطى ثم أسند رأسه على زاوية المركبة وأقفل عينيه
واستعد للنوم . ونال رجلاً من كسل جاره بعض الشيء فنشاءب

وتمطى واستعد هو الآخر للنوم . أقفل عينيه وتاه فى بیداء الخيال وهو يسمع غطيط جاره المتواصل . حاول النوم فلم يستطع اذ كان عقله مستيقظاً يفكر فى مختلف الامور : فى حلجيان وما رآه عنده ، فى والده وما سمعه من حديثه ، فى أمه التى دخلت جهنم ، فى عمه وأقاربه . . . وأخيراً فى برج الارواح ، حيث استقر تفكيره فيه فلم يبرحه ، فتخيله كبرج الحمام الذى كان فى دار والده فى الريف ، حيث أمضى بعض سنى طفولته . فقد كانت لهم دار صغيرة فى قرية بالقرب من قليوب أقاموا فيها رداً من الزمن ثم تركوها عند ما أفلس الاب فى مزرعته ، قافلین الى مصر يعيشون مع الشيخ أبى المحاسن عم رجب افندى

كان برج الحمام فى دار والده الريفية برجاً مبنياً بالطين . يتوسط فناء الدار بجوار حظيرة المواشى . تخيل رجب برج الارواح على شاكلة تطل من عيون أهله ارواح الموتى على شكل حمام بيضاء شفافة تلمع لمعان مصباح الكهرباء . ولكنه تخيل بين هذه الحمام البيضاء حمام أخرى سوداء ، هى ارواح المذنبين من أهل النار ، تصبح صياحاً مزعجاً ، وعيونها تقدح بشرر خفيف . فرهب رجب منظرها وفتح عينيه فقابلتا عيني الشخص المجهول ، وكان

مصوباً اليه نظره الحاد . ففزع ومال على رقيقه يوقظه . ولما استيقظ الشيخ عبد الحى بادره رجب بقوله :

— ألا ترى هذا الشخص الغريب الذى ينظر الى هذه النظرات الجهنمية . . . أخشى أن يكون من أهل الجان . . انظر فالتفت الشيخ عبد الحى الى الشخص فوجده قد حول نظره الى محل آخر فأجاب رقيقه :

— أنت كثير الخوف يارب افندى . أظن هذا الشخص الذى ترهبه وتحسبه من أهل الجان امرأة مسكينة لا شأن لها معنا وأسند الشيخ من جديد رأسه الى زاوية المربعة وأطبق جفنيه ونام . وتبعه رجب فأسند رأسه الى حائط المربعة الخلفى وأطبق جفنيه ولكنه لم ينام . كان يفكر فى الشخص المجهول الذى كان يحذجه ببصره منذ هنيئة . ثم جعل ينتقل بتفكيره من هذا الشخص الى أبراج الحمام الرقيقة ثم الى برج الارواح من جديد ثم الى الحمام السوداء والحمام البيضاء ثم يعود الى الشخص المجهول وهكذا . وتخيل كأن الحمام يطير داخل مربعة الترام ويرفرف باجنحته متقللاً من مكان الى آخر يلتقط الحب من المقاعد الخالية . وكان حمامة سوداء نارية العميون قد حطت على رأس الشخص

الجهول وسمع في هذا الوقت صوت رفرقة آتية من ناحية هذا الشخص ففزع وفتح جفنيه فتحة صغيرة ليرى ماذا يحدث فاذا بالشخص قد قام من مقعده واتجه نحوها سائرا على سلم المركبة ، فازداد فزع رجب وأمسك بيد صديقه يهزها . وتبين الشخص فاذا به رجل ذو لحية غبراء ، له وجه أسمر مخطط بالتجاعيد ، يضع رداء كزعبوط الفلاحين على رأسه . اقترب الرجل منه ففتح رجب عينيه دفعة واحدة وصاح بفزع قائلا :

— من أنت ، من أنت . وماذا تريد مني ؟

وما زال يهز بيده رفيقه الذي كان تحت تأثير النوم العميق . وتكلم الرجل بصوت غليظ . وكان فيه يتخذ شكلا قبيحا عند الكلام ، وحاجباه يرتفعان وينخفضان كأنهما يشاركان في الالفاظ في الايضاح عن معانيها . ورأسه بهتز هزات موافقة لحديثه . وكانت يدها العظيمتان ، احدهما قابضة على مسند المركبة والاخرى تشكل أصابعها تشكيلا غريباً كاعمال المشعوذين . وصاح في رجب قائلا :

— صلى على سيدك وحبيبك النبي عليه الصلاة والسلام
فأجاب رجب مضطرباً :
— عليه ... الصلاة ... والسلام ... ولكن من أنت؟



﴿وصاح الرجل قائلاً : صلى على سيدك وحبيبك النبي ...﴾
وثأب في هذه اللحظة الشيخ عبد الحى ثم تمطى ودعا عينيه
٤ - رجب

وفتحهما فوجد الرجل الغريب أمامه مصوباً إليه نظره موجهاً إليه كلامه . وهو يحرك فمه وحاجبيه ويديه حركات المشعوذين وأخذ يقول :

وانت أيضاً يا شيخ . . . صلى على سيدك وحيبيك النبي عليه الصلاة والسلام

وكان يتكلم بلهجة الأمر . فأمرع الشيخ بالإجابة وهو لا يدرى ما شأن هذا الرجل معهما . والتفت الرجل الى رجب وعاد الى الكلام ولكن بسرعة غريبة كأنه حافظ ما يقوله عن ظهر قلب :

— الله لا يفضح لك عرضاً ولا يقفل في وجهك باباً . الله ينيلك ما تفكر فيه ، ان سرّاً وان جهراً بحق السيدة زينب « أم العواجز » الله يسترها معك في الدنيا وفي الآخرة . الله لا يريك مكروهاً ، لا في نفسك ، ولا في أهلك ، ولا في أولادك . . . أنا رجل فقير مسكين لي من الأطفال الأيتام تسعة لا يجدون ما يسدون به رمقهم . . . وسكني في . . . « أبي زعل » ولا أملك من ثمن التذكرة الا قرشاً من « التعريفة » وانت من الناس المستورين المحبولين على فعل الخير . كريم بفطرتك . فبحق النبي والأولياء

أن تسكر منى باعطائي ثمن التذكرة « لأبني زعبل » وثمن تسعة
من الارغفة لاولادى البيتامى . . .

فنظر اليه رجلاً بدهشة ورعب . ومديده بقطعة من ذات الخمسة
القروش وأعطاهها له وهو لا يدري كم أعطى . ووقف الترام فى هذه
الآونة على المحطة المرغوبة فنزلاً . وكان الشحاذ المشعوذ قد سبقهما
فى النزول وهو يردد الدعاء لهم بسرعة غريبة وبلهجة الأمر دائماً
ولما تركا المحطة ووجهتهما سيدنا الحسين التفت رجب الى رفيقه
وقال :

— هذا رجل يتسول أم يتشاجر ؟ لا انكر عليك أنى
كنت خائفاً منه : من يدري لعله من « بسم الله الرحمن الرحيم »
ثم انتقل من هذا الحديث الى حديث آخر فقال بغنة للشيخ
عبد الحى :

— أنت ضيفى الليلة يا استاذ . مستحيل أن اتركك تنام فى
غير بيتى . . . وبعد ان تناول طعام العشاء قرأ ما تيسر من
الأحاديث الشريفة ونصلى عدة ركعات جماعة على روح الاموات
أليس هذا مستحباً ؟

وقبل الشيخ الضيافة فذهب معه الى منزله وتناول الاثنان
معا طعام العشاء وأمضيا الوقت يصليان ويقرأن البخارى
ويتحدثان عما شاهداه وسمعاه عند حلجيان



ومضت الايام وجاء ميعاد الزيارة الثانية للاستاذ حلجيان فهبط الشيخ عبد الحى دار رجب في ساعة مبكرة . وخرجا معاً وركبا الترام . وقطعا الوقت فى الكلام عن حلجيان وعن دروسه وعن روح الشيخ ابراهيم وعما ستفضى اليه اليوم من الاخبار . وأخيراً وصلا الى المكان . وقرأ الباب فاستقبلهما الغلام عبد الفتاح وأدخلهما حجرة الانتظار . وكانت على حالها لم يتغير فيها شىء قط فكأنهما تركاها منذ لحظة وعادا اليها ثانية . وكان رجب صامتاً ينظر الى باب حجرة « المشورة » يُعدّ نفسه لمقابلة الاستاذ . وبعد برهة وجيزة فُتح الباب وظهر لحلجيان . وكانت مقابلته لهما بالة تحد الادب والاحترام مع محافظته على هيئته وجلاله فى السير والكلام واقترب الاستاذ من رجب ونظر اليه بابتسام ثم ضرب بيده على كتفه ملاطفاً ، وقال :

— انك مثقل بالأفكار يا بنى . يجب أن تريح نفسك . اخرج للفسحة واستنشق الهواء . وتردد ولو قليلا على محلات اللهو المباح . هذا ضرورى لك فأجابه رجب وهو مطأطئ الرأس :

— انى لا افكر فى شيء يا استاذ . . . وأنا على أتم حال

— روح أبيك . روح أمك . برج الارواح . . كل هذه الاشياء ومثا هو على شا كلتها تملأ رأسك . . انك فريستها . هذا ما أقرأه فى عينيك . . .

فرفع رجب بصره فقابلت عيناه عيني حلجيان ، وكانتا تحملقان خاف النظارات ، ترسلان شعاعاً حاداً قوياً . فارتعد وأغمض عينيه

وأخيراً أدخلهما حلجيان حجرة « المشورة » وقادهما الى مائدة تحضير الارواح وهو يقول لهما :

— لا نريد أن نضيع الوقت فى الكلام . بل نريد أن نعمل . . . هيا ضعا أيديكما .

فوضعا أيديهما . واستعد حلجيان للعمل . ولكن قبل أن يتبدىء أخذ يلقي محاضراته الطويلة ، ذات الكلام الاجوف الرنان ، التى يفتتح بها عادة دروسه . وختمها بعد أن جعل من تلميذه آلة خنوع له

ثم تكلم ثانياً وأخبر رجياً بأنه سيحضّر له روح أبيه وسيعلمه كيف يجادها . وتتمرر بجمال والفاظ مبهمه ، باهتزت المائدة على أثرها

وحضرت الروح غير مرئية . فالتفت حلجيان الى رجب وطلب أن يمسك القلم ويضعه على الورقة بدون ضغط ثم يترك ايده حرة السير في الكتابة بدون أن يحركها بنفسه ففعل رجب ما أمره به استاذة ولكن يده لم تتحرك . فقام حلجيان من مقعده ونظر في وجهه وقال له بصوت الامر :

— لا تتعجل يدك ستتحرك بلا ريب . انظر ألا تشعر أن فيها قوة غريبة . انك تشعر بهذه القوة . مستحيل انك لا تشعر بها . . . إني أرى يدك تهتز . روح أبيك حاضرة وهي التي تقبض على يدك . . . ان يدك تهتز . . . ألا تشعر بذلك ؟ انها ترتعش . ستتحرك . . . لا تخف يا بني . . . انتهى كل شيء . لقد تحركت يدك . تحركت . تحركت . . . انظر اليها كيف تسير ببطء . اتركها على حريتها تكتب ما تريد . روح أبيك هي التي تسيرها

وكان رجب يصغى الى صوت حلجيان وهو مشدود مضطرب . وتحركت يده المرامشة حركات عصبية فبشرت الهوينا على القرطاس ترسم خطأ متعرجاً . وبينما كانت اليد تسير بلا ضابط ولا غاية كان حلجيان يصيح في رجب قائلاً :

— يدك بدت تكتب . . . هاهي الالف . . الالف أول

حرف من اسم أبيك ابراهيم . . لقد كتبت يدك الالف . . .
كتبتها واضحة .. ألا فانظر ... والآن ستكتب الباء ... الباء ...
الباء . . .



✂ وكانت يد رجب تلف صاعدة نازلة ✂

وكانت يد رجب تلف صاعدة نازلة تحاول رسم الباء . وصاح
حاجيان صيحة منكرة جعلت يد رجب المرتعشة الحائرة ترسم الباء
واضحة تامة . وهكذا كتبت الروح اسمها : فابتسم حاجيان
ابتسامة الظافر وسعل لينظف حنجرتة والتفت الى الشيخ عبد الحى
الذى كان يراقب باهتمام هذه العملية الشاقة وقال له :

— ان رجب أفندى سائر بنجاح فى التلميم لقد استطاع أن
يكتب اسم أبيه فى الجلسة الاولى . هذا شيء يسر للغاية
ثم التفت الى رجب ، الذى كان ينظر نظرات تائهة الى اسم
أبيه وإلى يده وإلى الخطوط والدوائر المتعرجة التى رسمها ،
وقال له :

— أتمم الكتابة لثلاث عمل الروح الانتظار .

وبدأ الجهاد من جديد . فكان حاجيان يصرخ آمراً ، ويد
رجب تتحرك صاغرة ترسم الخطوط المتعرجة التى تتألف منها
الكلمات ، واستمر العمل ساعة أتم فيها رجب حديثاً صغيراً مع
روح أبيه . وكان يشعر منذ أن بدأ الكتابة بدوار أخذ يتسلط
عليه . فلم يعرف التفاته فى بادى الأمر . ولكنه بغتة أحس بتصلب
يده ثم رأى القرطاس كأنه يدور أمام عينيه . وشعر كأن هناك

مطرقة حادة تضرب على أم رأسه . ونظر الى ماحوله فلم ير الا
أشباحاً تتلاشى . فالتفت القلم . وجعل يتنفس بصعوبة . وقال بجهد
وقد اصفر وجهه وغمره العرق البارد :

— كفى .. لا أستطيع .. أريد هواء .. ماء .. أدر كوني
فذهب حلجيان اليه ورمى طربوشه جانباً . ثم حلّ حزام
قفطانه وعرى صدره . وجعل يروح على وجهه برزمة من
الاوراق وجدها تحت يده . ثم صرخ على غلامه قائلاً :

— يا عبد الفتاح ، يا عبد الفتاح . قلة المياه يولد . سريعاً ..
قلة المياه يا ابن الكلب سريعاً .

وهرع عبد الفتاح آتياً بقلة المياه . فأخذها حلجيان وصب
معظم مائها على رأس رجب ووجهه . أما الشيخ عبدالحى فلشدة
حيرته واضطرابه ظل جامداً ينظر بحيرة : تارة الى رجب وطوراً
الى حلجيان .

وأفاق رجب أخيراً من نوبته ففتح عينيه وأخذ يمسح وجهه
ببيديه . ثم فتح فمه وجعل يلحس بلسانه قطرات الماء التي على
شفتيه . وأدرك حلجيان رغبته فناوله القلة ، فكرع ما بقى فيها
دفعاً واحدة . ثم ابتسم وقال لمن حوله :

— لا تخافا .. انها نوبة صغيرة مسببة من التعب .

وعادت الى حلجيان قوته المغنوية فأكسب وجهه مظاهر الهيبة والأستاذية . وتكلم متمهلاً بصوت أجش قائلاً :

— هذا شيء بسيط جداً .. بسيط للغاية . شيء يتكرر حصوله أمامي كثيراً ... ان الأشخاص المفاويزي المزاج لا يتحمل نخاعهم الشوكي الصدمات الروحانية من أول وهله . لأن في نخاعهم مادة سنجابية اللون لا تتحد مع مادة الأرواح الهيوالية البلورية الا اذا حصل تماس قوى ..

وكان على وشك الاندفاع في القاء محاضرة يفسر بها هذه النظرية الجديدة لولا أنه لاحظ الأعياء ظاهراً على وجه رجب فلاطفه على كتفه وقال :

— لا تخش بأساً ، ان نخاعك الشوكي بحالة سليمة بالرغم من

ضعفه . ولكنه سيقوى على ممر الزمن .

فابتسم رجب للملاطفة أستاذة . وحاول أن يقوم فخذه ركبتاه . فطلب منه حلجيان أن يستريح ريثما يعود الى حالته الطبيعية . وأمر غلامه بعمل القهوة . ثم قصد الى مكتبه وشرع يحكى لتلاميذه حادثة وهمية تماثل حادثة اليوم . وأفاض في سردها

يشقى أوصافها ويهول حوادثها ويحشوها بالفكاهات حتى سرتى
عن رجب . وكان للقهوة تأثير طيب على أعصابه فشط جسمه
وزال ألم رأسه . ولما وجد نفسه قادراً على الخروج ابتسم لاستاذ
ابتسامه الرضى وحدد معه ميعاد الجلسة القادمة بعد أسبوع . ثم
خرج مصحوباً بالشيخ عبد الحى .

ومضى الأسبوع بخير فشر رجب بزوال آلامه تماماً .
وتجددت قوته وعاد اليه نشاطه . وجاء الشيخ عبد الحى فى اليوم
المعين . وخرج معه الى دار حلجيان كما هو متفق عليه . فحضر لهما
الاستاذ الأرواح . واستطاع رجب أن يكلم روح قريب له
بدون عناء كبير

واستمر تردد رجب وزميله على حلجيان ستة أشهر ، أما فى
نهايتها تعاليمهما الروحية . وقد استنفدت هذه الدروس من مال
رجب ما كان أعدّه لوقت الحاجة . ولكنه لم يأسف على ضياعه
نظير ما اكتسبه من علم وخبرة على يد استاذه الروحاني الكبير .



تواعد رجب مع الشيخ عبد الحى على اللقاء فى جامع سيدنا الحسين . وكانا قد اعتزما ، بعد أداء الصلاة ، أن يذهبا الى المنزل ليحضرا الأرواح لأول مرة بمفردهما . فلما آتتا صلاتهما اقترح رجب على رفيقه أن يتناولوا طعامهما فى مطعم المعلم فتوحة ، الكائن فى نفس الجهة . فقابل الشيخ الاقتراح بالرضاء التام ، وهو يزدرد لعابه جزافاً ، اذ لم يكن قد زار المطاعم العامة منذ أمد طويل .

دخلوا المطعم فهرع اليهما صاحبه وكان بجوار الباب خلف المطبخ يجهز العجة لبعض الزبائن ، وهلل بهما وهو يمسح يديه فى فوطة صدره القذرة استعداداً للسلام عليهما مصافحة عملاً بأصول الكرم . وقال لهما وهو يتسم :

— لقد شرقما الدكان . أهلا وسهلا ومرحبا .

ثم صرخ من أنفاق نفسه يأمر الغلام قائلا :

— جهز ياولد المائدة التى فى الركن وافرش عليها جرنالا

جديداً

ثم مد يده مبتسما وقد انحنى انحناء الاحترام وسلم عليهما . وكان يقبل يده بصوت مسموع يرن فى جو المطعم . وبعد كلمات

الترحيب والتحية من الجانبين تكلم المعلم « فتوحة » وهو يصلح
عمامة على رأسه ويعيد تسمير كفيه المنحطين قائلاً :

— لقد مضى وقت طويل لم تأكل فيه سلطناً المشهورة
أليس كذلك ؟ سأجهز لكما صحناً غاية في الاتقان . ثم لدى بيض
صالح ألا تريدان عجة بالبقـدونـس والتحـايـش . شئ لذيذ من
صنع يدي . ولقد أحضرنا ، على فكرة ، اليوم من الفرن
الافرنجى صينية من الزلاية . ما رأيكما فيها ؟

ثم صاح بعد أن صفق تصفيقاً حاداً غير منتظر اجابة رجب
أوزميله . قائلاً :

— سريعاً يا ولد جهّز اثنين عجة بالتحـايـش واثنين سلطنة
بالشطة ، وقطعتين زلاية مشربة بالعسل

ثم توسط المطعم بعد مامسح بفضة صدره مقعد رجب وزميله
وصاح مناجياً نفسه بنغمة فيها مدّ وغنه ، قائلاً :

« الى على الله على الله »



✧ المعلم فتوحة ✧

والمعلم فتوحة هذا رجل يبلغ من العمر الخامسة والأربعين ،
عليه طابع البلدية في كل شيء ، في ملامحه ولهجته ولباسه . هو

« عايق » كما تسميه النسوة . وكان فتوة فيما مضى ، له وقائع يعرفها الجميع وسوابق محفوظة في سجلات أقسام البوليس . وهل لا يعرف الناس « فتوحة » الفتوة الذي كان يتقدم مواكب الافراح يحميها بعصاه الغليظة ، من كانت تهايه الصبيان والرجال وتعجب به النساء ويخشاه في بعض الاوقات رجال الشرطة . ولكنه اليوم تاب الى ربه بعد أن أذله الحبس خمس سنين متوالية . ولم يترك له الماضي إلا شقة في رأسه ما زال أثرها ظاهراً في أعلى جبهته وعصا غليظة كانت سلاحه الذي يقاتل به . لقد سئم المعلم فتوحة اليوم حياة « الفتوة » واتجه لحياة النساء فهو يتزوج اذا كان الريح لديه متوفراً ويطلق اذا ماقل الريح أو ملّ الزوجة . ولكنه كثير التشبيب بالنساء يحفظ المواعيل والادوار البسدية التي تعبر عن نفسيته وطالما رآه الزبون واقفاً أمام « وابور الغاز » يطبخ العجة أو أمام طاجن « السلطنة » يجمع الاصناف ويقلبها وهو يغني بصوت يسمعه من في الشارع ، تارة صائحاً « ياليل » وطوراً مردداً أغنيته المحبوبة

— (ياميت ندامة على الليّ حب ولا طالشي .)

وكانت أكلة شهية سرّ لها كل من رجب والشيخ عبد الحى .
وتقدم رجب فدفع ثمن الأكل لنفسه ولزميله بعد احتجاج شديد
من الشيخ عبد الحى الذى أَوْهم الحاضرين وصاحب المطعم أنه
يريد دفع الحساب كله . وقد أدخل فعلا يده فى جيب جلبابه
متظاهراً بجمع النقود كأنه يعدها قرشا قرشا ولكنه لم يخرجها بل
ظل منتظراً رجبا حتى دفع الحساب بأكله . وكيف يستطيع الشيخ
عبد الحى دفع الحساب وهو لا يملك غير قرش واحد وبضعة ملاليم
وكان قد أتجه نحو إحدى الصور المرسومة على حيطان المطعم
وجعل يفحصها . وهي صورة تمثل ذهبية فى النيل يطل من أحد
نوافذها شيخ معمم رسم له أحد الزبائن بالقلم الرصاص شارباً
طويلاً يباغ طرفه الايمن . مقدّم الذهبية وطرفه الايسر مؤخرها .
وبعد قليل صاح الشيخ عبد الحى بالمعلم فتوجه مستقهما :

— ما هذا يا معلم فتوحة . هل كانت شبو ارب أهل زمان طويلاً

بهذا القدر ؟

فالتفت اليه المعلم وعلى وجهه أمارات الجذ والاهتمام وأجابه

قائلاً :

— طبعاً .. ألم تسمع شيئاً عن فرعون مثلاً

— وهل كان لفرعون شارب طويل ؟
— لقد كان فرعون يبالغ في الطول طول المارد فكيف
بشاربه ؟ ...

ثم جعل يقص على رجب أفندى والشيخ عبد الحى وبعض
الزبائن ، الذين شاقهم حديثه فالتفوا حوله ، ما يعرفه عن فرعون
الذى كان رأسه يناطح السماء نظراً لطول قمته

* * *

وخرج رجب والشيخ عبد الحى من المطعم بعد أن صافحهما
المعلم مصافحة حارة . واتخذا طريقهما الى المنزل . وأخيراً وصلاه ،
وكان عليهما طابع الخمول الشديد . فقصدا من فورهما حجرة رجب
الخاصة وسرعان ما تمددا فيها حتى كانا يغطان فى نوم عميق
وبعد أن أخذتا قسطهما من الراحة استيقظا ، ثم توضيا وصليا .
وشعرا بعد الوضوء والصلاة بانتعاشهما فطرحا الكسل جانبا وبدأ
يفكران فى الأمر الهام - الذى اجتمعا من أجله اليوم - وهو
تحضيرهما الأرواح لأول مرة بمفردهما . وكان رجب قد أوصى
النجار بصنع منضدة صغيرة بثلاث أرجل جاءت وافية بالغرض .
فأدناها من فراشه حيث كان جالسا وبجواره الشيخ عبد الحى

ورتب عليها الأوراق اللازمة تأهباً للعمل . وقبل البدء بالتحضير أخذنا يتناقشان عن يريدان اختياره من الأرواح ، وأخيراً رشح الشيخ عبد الحى الشيخ محمد عبده . ووقع اختيار رجب على هارون الرشيد . ولم تمض فترة صغيرة حتى كان رجب يحدث هارون الرشيد . فجلس جلسة المتأدب ، يكتب بخشوع كأنه فى حضرة الرشيد نفسه . وكادت المحادثة تنتهى بخير لولا تدخل الشيخ عبد الحى ، لأنه سره بعض لطائف جاءت فى كلام الرشيد فضحك على أثر قراءتها ضحكاً عالياً ثم صاح بملء شقيه موجهاً كلامه لارواح المائلة امامهما قائلاً :

— جازاك الله يا شيخ . انك مهذار تحب التنيكيت .

فتضايق رجب من كلام الشيخ عبد الحى وعده اهانة لروح ذلك الرجل العظيم فشمر بيده تهتز هزات عصبية ثم كتبت ما يأتى بخط كبير بعد أن رسمت عدة خطوط منحنية ودوائر متعرجة :

— أنت رجل وقح يا عبد الحى .

وقرأ الشيخ عبد الحى الجملة فتجههم وجهه بعد اشراقه . ونظر الى رجب مستغفماً بدون أن يتكلم . واعتراه شئ من

الحجل والحيرة . وشعر بجرح مركزه امام روح الرشيد .
وخشى بأن يكون حقاً أساء الادب فأظهر الخشوع والندم .
وتضاءل جسمه متدخلاً بهضه في بعض كتضاؤل المقرور من شدة
البرد . وتكلم أخيراً بصوت ضعيف مرتجف يطلب الغفران عن
ذنبه موجهاً كلامه للروح غير متجاسر أن يرفع بصره الى الجهة
التي كان متصوراً وجودها فيها .

— وماذا فعلت يا مولاي حتى أنال غضبك هذا ؟

فأسرعت يد رجب في الكتابة تجيب على هذا السؤال :

— عاملتني معاملة الند للند ونسيت أنك تحاطب أمير

المؤمنين وخليفة رسول العالمين .

فارتجف الشيخ عبد الحى واختلج صوته وهو يتكلم قائلاً :

— غفرانك يا خليفة الرسول أنا « رجلا مسكيننا » لا يستحق

غضبك هذا

— انك تخطيء في النحو يا رجل . وألفاظك ليست عربية .

فعلم نفسه وهذبه قبل أن تجرؤ على محادثة العظماء .

ثم رسمت يد رجب بعد كلمة « العظماء » خطأ طويلاً جعل

يدور هنا وهناك على الورقة حتى وقف أخيراً بنقطة سوداء

غليظة دلت على نهاية الحديث . وكان رجب قد تعب فرمى بالقلم جانباً وجعل يمسح وجهه ويديه بمنديله . ونظر الى الشيخ عبد الحى فوجده مازال على خشوعه فنبهه الى أن الحديث قد انتهى وعرض عليه أن يأخذ مكانه أمام المنضدة ليحضر روح الشيخ الامام التى يرغب فى محادثتها . فهز الشيخ عبد الحى رأسه علامة الرفض . ثم أخذ يعود الى جلسته الاعتيادية تاركا التواضع والاحترام جانباً . ومرّت برهة صمت طويلة ارتدى فيها رجب ملبسه بينما كان عبد الحى جالساً ، عارى الرأس يفكر فيما حدث له مع هارون الرشيد . وبغته صاح سائلاً رجياً بصوت عال اضطرب له الأخير .

يظهر لى أن هارون الرشيد كان متحاملاً على بلا سبب ... ما هذا الظلم ؟ ... يشتمنى من أجل نكتة تافهة فهتُ بها ... هذه قسوة وحماسة .

فتظاهر رجب بالموافقة وإن كان رأيه فى الحقيقة مخالفاً لرأى زميله . وأتم الشيخ عبد الحى اعتراضه واحتجاجه قائلاً :
ومن الغريب أن ينتقد لغتى ويتهمنى بجهل قواعد النحو . وهل قال له أحد اننى « ابن منظور » أو « أبو الأسود الدؤلى » .
فتملأ رجب من هذه الاعتراضات وأراد أن يعارض

الشيخ فتكلم ولكنه لم يقل أكثر من هذه الكلمات المفككة
لشدة حيرته وتغلب حياته عليه

— المسألة ... الرجل استاء قليلا منك ... أقول قليلا
وليس كثيراً

فصاح عبد الحى محتداً :

— وماذا فعلتُ ليستاء منى . كنت أمزح معه . هل كفرت
فى هذا المزاح ؟ ألم يكن أبو نواس يمزح معه بجرأة فيضحك
عليه جميع الجالسين ؟

فاعترض رجب وقد بدأ صبره ينفد وقال :

— هذا كان من الخلفاء العظام ياشيخ عبد الحى . فلم يكن
أحد يستطيع أن يضحك عليه

— أوه . أعلم معروف . أين هذه العظمة ومجالس الشراب
والغناء والرقص التى كانت تقام كل ليلة تشهد بخلاعه وبجونه .
ثم مال على رجب بعد أن خفض صوته كأنه يخشى أن
يسمعه أحد :

— ان الجميع يروون عنه أنه كان سكيراً من أعلى طبقة .

فاعترض رجب على كلام رفيقه اعتراضاً صريحاً بشيء من

الحدة وقال :

— بل كان رجلاً مؤمناً لم تنجب الدنيا مثيلاً له في تقواه
وصلاحه . كان يحج سنة ويحارب سنة .

وتلت ذلك مناقشة صغيرة انتهت بسلام .

وقام الشيخ عبد الحى فارتدى ملابسه ولفّ عمامته وخرج
مع رجب قاصدين الى حانوت الشيخ المسكى . فقابلهما الشيخ
بكل ترحاب وأكرمهما بتقديم كسات الشاي المعطر كالمعتاد .
وكان مع الشيخ عبد الوهاب ثلاثة مشايخ من تجار الحجاز كانوا
يفاضونه في متاجر صغيرة . فلما انتهت المفاوضة اعتدل الشيخ
عبد الحى فى جلسته وتأهب للكلام . فتنحنح طويلاً منظرنا
حنجرته كأنه يستعد للغناء . وقل بعد أن أكسب وجهه مظاهر
الاهتمام :

— لقد استطعنا أن نكلم اليوم هارون الرشيد

فنطق الشيخ المسكى على الفور قائلاً :

— عليه أفضل الصلاة والسلام ...

ونظر التجار بعضهم لبعض حيارى مدهوشين . ثم سأله
أحدهم كيف كلم هارون الرشيد وهو شخص ميت . فأخذ الشيخ
عبد الحى يروى لهم كيف تعلم مع رجب افندى فن تحضير
الارواح على استاذ مشهور يدعى الحاج حلجيان وكيف برع فيه

براعة تؤهلها لان يحضرا أى روح من الارواح فى أى وقت من الاوقات . وأخذ يطلب لها فى طريقة الاستاذ حاجيان محرراً اياهم على تعلمها . ثم روى لهم حديث الروح مع رجب هذا اليوم بطريقة لا تتفق مع الحقيقة . فحذف ما خصه وأضاف اليه من عنده كثيراً من الحشو، وكان فى كل فترة وأخرى يلتفت الى رجب طالباً منه المصادقة على كلامه . فكان رفيقه يضطر أن يوافق على كل ما ذكره .

وانتقل الكلام بعد ذلك من مناجاة الارواح الى أخبار وروايات عن كرامات الاولياء . وكان الشيخ عبد الوهاب المكي متضلعا فى هذه الحكايات وطالما روى الكثير منها لزبائنه ورفاقه . وكانت له طريقة خاصة فى رواية هذه الحكايات فكان يلقيها ببطء وتؤدة . يبط بعض الكلمات مطاً لا محل له . ويتوقف حيناً عن الكلام توقفاً مقصوداً برهة طويلة وهو ينظر بابتسام فى وجه كل سامع يتفرس فيه كأنه يستطلع رأيه أو يطلب منه إظهار إعجابه . وكثيراً ما بصمت فى موقف مشوق جميل متظاهراً بتنظيف ملبسه (فم السجارة) أو بتمشيط لحيته باهتمام كاذب . ولم تكن هذه طريقة مستحبة عند سامعيه فطالما ضجروا بالشكاية لأنفسهم منه .

وأخذ الشيخ عبد الوهاب يروى لها حكاية جديدة لم يروها من قبل . قرأها في أحد الكتب القديمة . وهي عن شيخ كان في حياته مثال الطهارة والایمان لا يترك فريضاً ولا يحجم عن فعل الخير بعيداً عن المنكرات : لكنه عندما مات أخذ الى جهنم ونقلت جثته من قبور المسلمين الى قبور النصارى لذنوب صغير أتاه ، أتلف كل ایمانه وصلاحه . وكانت قصة طويلة جعل الشيخ يرويها بطريقته المعهودة متفتناً في إلقائها ، لا يترك شاردة ولا واردة فيها حتى يوفيهما حقهما من الوصف والایضاح . وقد توقف عدة مرات عن الكلام كعادته وهو يحملق في وجوه الجالسين بعينيه الصغيرتين الخفتيتين تحت حاجبيه المهدلين . وعند ما وصل الى ذكر الذنب الذي اقترفه هذا الشيخ الصالح والذي من أجله عُده كافراً من نصيب النار صمت صمتاً طويلاً متظاهراً بمسح عينيه وتنظيفهما بمنديله ثم قام ودخل الخانوت ، تاركاً رفاقه في أشد حالات الانفعال . فصاح به الشيخ عبد الحى مستنجداً وقال :

— الى أين يا سيدنا . الى أين ؟ اذكر لنا أولاً ذنب هذا الشيخ الصالح . ثم اتركنا بعد ذلك وشأننا .
فمظّر اليه الشيخ المكي بمكر أخفاه تحت ابتسامته العريضة

وأخبره بأنه يريد أخذ شيء من خزانته . وقصد إلى الخزانة ثم
فتحها بكل بطة وجعل يبحث بحثاً وهمياً كاذباً في رفوفها وأدراجها
وأقفلها دون أن يأخذ شيئاً . ورجع الهويني إلى مجلسه أمام
الحانوت . وأخيراً أتت الحكاية وأخبر السامعين عن الذنب الذي
اقتربه هذا الشيخ الصالح ، بعد أن أضجرهم وأياسهم بصمته
وتلكنته حتى كاد صبرهم ينفد . أما الذنب فيتلخص في أن
الرجل مرّ في ليلة ، غزيرة المطر قارسة البرد ، بقطة صغيرة هزيلة
كانت تموء جوعاً وتنتفض برداً ، فلم يأبه لها وتركها فريسة الجوع
والبرد فماتت في ليلتها . وبعد آتمام القصة جاء دور التفسير .
فأخبرهم بأن هذا الرجل الصالح الذي كانت مظاهره كلها توهم
الناس بالصلاح والتقوى لم تكن روحه مؤمنة . بل كانت كافرة
بدون أن يشعر بها . كان شخصاً ابن خنا من أم زانية وأب
مجوسى من عبدة النار .

وأنثرت هذه القصة على السامعين تأثيراً كبيراً فجعلوها محور
حديثهم حتى نهاية الاجتماع .

وتوثقت روابط الألفة والصداقة بين رجب والشيخ عبد
الحى . فكانا يجتمعان كل يوم تقريباً للعبادة وقراءة الاوراد
وتحضير الأرواح . وأخيراً حلّ الشيخُ ضيفاً دائماً عند رجب
فاحتل في منزله حجرة صغيرة . وتطوع من تلقاء نفسه للخدمة
صديقه عندما كانت تتغيب أم تبوية عند ابنتها .

وحدث في ليلة من الليالى - بعد أن صرفا هزيعاً من الليل
في قراءة أخبار الأولياء وكرامات الصالحين - أن رأى رجب
في نومه رؤيا مخيفة قام منها صارخاً مذعوراً . واستيقظ الشيخ
منزعجاً على صراخ رجب فقام يطلب النجدة والغوث ، ظاناً أن
الصبا قد سطا على المنزل ، وأن رجلاً ضحية من ضحاياه . فلما علم
الحقيقة انقطع صياحه وجلس يرتجف على أرض الغرفة يلث من
شدة الاضطراب . وبعد أن هدأ روع رجب قليلاً أخذ يقص
على رفيقه رؤياه المخيفة ، وكان نور الفجر قد نخلل النافذة الخشبية
فأضاء الحجرة بضوء أبيض ضعيف أدخل الظلمة على قلبيهما ،
وبأن كل منهما عن وجه رفيقه الشاحب المصفر .

أما الرؤيا فتناقص في أن رجلاً وجد نفسه منفرداً في صحراء

قاحلة لا أثر لآدمي أو زرع فيها . فشعر بوحشة ورهبة زادها
ظلام المكان واكفرار الجو . وإذا بنور قد أضاء الصحراء وظهرت
هاوية سحيقة اندلعت من فوهتها السنة طويلة من نار هائلة ، لها
أزيز مصحوب بأنات تألم وأصوات استغاثة وتلهف . واختلطت
المشاهد امام رجب فإذا بالصحراء فناء ضيق لدار عالية الجدران
يسطع في أرجائها نور باهر يخطف الأبصار . وإذا بجمع من المشايخ
ذوى لحى بيضاء طويلة ، يشع من وجوههم السمحة الطاهرة نور
الايمان جالسين في ذلك الفناء على حُصُرٍ نظيفة . فكان كلما اقترب
رجب من أحدهم عَبَسَ الشيخ في وجهه وردّد قوله : « لست
منا . لست منا .. » . ودار على الجمع فردا فردا فلم يحظ منهم إلا
بالازدراء والطرده . ثم شعر كأن يدا هائلة لونها كالون الحديد
الحمي في النار تقبض على خصرته وترفعه الى العلا ثم تطوح به
هنا وهناك . وأخيرا قذفت به في هاوية الصحراء ذات اللهب
الصاخب . فالفأها رجب بجرازا خرا باتهب المتأجج يردد فوق
أمواجه أصوات كأصوات القنابل واستيقظ من النوم
منعورا وهو يظن أنه أصبح طعمة لنار جهنم .



﴿ وشعر كأن يدا هائلة تقبض على خاصرته
﴿ وتقف به في هاوية من اللهب المتأججة ﴾

وتنهذ رجب طويلا بعد أن أتم رواية حلمه وأمسك بيد الشيخ
عبد الحى يشد عليها بقوة . فهدأ الشيخ روعه وجعل يفسر له الحلم تفسيراً

جميلا . فأخبره أن الصحراء الواسعة المظلمة معناها الدنيا الخبيثة
التي نعيش فيها . ومجمع الفقهاء ذوى الاحى الطويلة هو مجمع الشياطين
متنكرين بهيئة الصالحين . واليد الحديدية التي رفعته من بينهم هي
يد القدرة الالهية تريد أن تنجيه من الغواية والضلال . أما الهاوية
السحيقة ذات الأمواج الملتهبة فهي الجنة التي وعد الله بها المتقين .
تحت الآهب النارية سماء صافية وحدائق وافرة الظلال تشقها جداول
من ماء سلسبيل ، يسبح فيها الحور والولدان ثم أخذ يسهب
له في وصف الجنة وما حوته من روائع وبدائع ، ومكان كل منهما
فيها ، حتى اطمان قلب رجب واستبشر خيرا فقام الى رفيقه
وعانقه طويلا . وأمضيا الوقت يتحدثان عن دار النعيم وما
سيلقيانه فيها من حياة رغدة خالدة .



ومضى أسبوع ورجب يرى في نومه نفس الرؤيا المزعجة بتفاصيلها الدقيقة ، كأنها رواية يشاهدها كل ليلة على مسرح التمثيل وكان يقوم من النوم في نفس الوقت منزعجاً يصرخ ويستغيث . فاستولت عليه كآبة مظلمة وطلب من الشيخ أن يقاسمه حجرة نومه وأن يؤانسه الى ساعة متأخرة من الليل . وكان اذا اقترب من فراشه يريد النوم شعر بقشعريرة تدب في جسمه وتخيل حوله مجمع الفقهاء الصالحين يرددون امامه بصوت رهيب قولهم : « لست منا . لست منا »

وفشلت مجهودات الشيخ عبد الحى في رد الطمانينة لقلب رجب . وكان كلما حاول تفسير الرؤيا تفسيراً طيباً تصدى له صديقه وتقض أقواله من أساسها مفنداً أياها ببراهين قوية وأخيراً قرّر قرار رجب على استشارة الارواح فلم يعارض الشيخ عبد الحى في ذلك . وقام الاثنان الى المائدة الثلاثية الارجل وجلسا حولها ، وطلب رجب روح خالد بن الوليد الصحابى والقائد المشهور . وسألها أن نجيبه صراحة عن تفسير حلمه وكانت ساعة رهيبية دق فيها قلبه دقات الخوف والهلع . ولما

تمت اجابة الروح وضع القلم جانبا بكل سكون وأحرق بنهول
 في الورقة التي كانت أمامه . وشعر بثقل شديد في رأسه ووهن
 يتمشى في سائر أعضائه . واذا بنور يخبو شيئاً فشيئاً أمام عينيه
 وتحل مكانه ظلمة حالكة : ويرأى كل شيء حوله يتضاءل
 ويتلاشى . واذا بالشيخ عبد الحى ينكمش متداخلاً في بؤسه وكأن
 قوة سحرية جذبتة من الخلف بشدة وجعلته يتصاغر بسرعة حتى
 غدا نقطة صغيرة لا تكاد تميزها عيناه . واذا بهزة عصبية شديدة
 سرت في جسمه تبعثها عدة هزات أخرى . ثم انطرح على
 الأرض كالمصروع . فاضطرب الشيخ عبد الحى وهول الى
 « القلة » وجعل يرش ماءها على وجهه بغزارة وهو يصرخ في
 أذنه منادياً اياه . وكان شعور رجب بما حوله ضئيلاً : يسمع نداء
 الشيخ ضعيفاً كأن المسافة التي تفصلهما شاسعة ، ويشعر بماء القلة
 البارد ينسكب على وجهه كأنه رذاذ من ماء المطر . ثم أخذ يعود
 الى حسنة الطبيعى بالتدريج . وما كاد يرفع رأسه قليلاً حتى انفجر
 باكياً ينوح نواح الأطفال . لقد أكدت له الروح التي سألها
 الساعة أن ايمانه مشكوك فيه وأن الحقيقة سر من الأسرار
 الالهية . هناك الهاوية المتأججة بنار الجحيم تقترب رويداً منه .
 والمستقبل مجهول بيد الله

وكفّ رجب عن بكائه وأخبر رفيقه عن اجابة الروح .
وكان وجهه مطبوعاً بطابع الألم ، ينبعث من مجمل هيئته ذلة وضعف
واستكانة . فدنا الشيخ منه وأسرّ في أذنه قائلاً :

— ألا يمكن أن تكون هذه الروح التي كلمتك الساعة روح
واحد من أعوان ابليس ؟ ألا تتذكر أن أستاذنا الحاج حاجيان
أخبرنا بوقوع خلط كثير في تحضير الأرواح ؟

فهزّ رجب رأسه بكآبة وظل صامتاً . وبعد قليل جاءت أم
نبوية فطلب منها رجب أن ترقيه . فقبلت عن طيب خاطر
وشمرت عن ساعدها وجمعت أصابعها في قبضة واحدة وأخذت
تديرها على رأس رجب وهي تتمم برقيتها . وكان الشيخ
عبد الحى يراقبها مراقبة تجلّ فيها الاكبار والاجلال . فقد كانت
هيئتها وهي منهمكة في قراءة الرقية تشبه هيئة الأولياء الصالحين
شعر رجب ببعض الراحة وجعل يتنأب على التوالى . فأخذ
الشيخ وأم نبوية يتنأبان أيضاً . وكانت الحجرة هادئة بدأت
تكتسحها جيوش المساء ، لا يسمع فيها الا صوت المرأة يتضاءل
رويداً . وكثر التناؤب بأصوات عالية والتمطى بحركات عنيفة .
وخيم على الجميع خمول شديد . وأطبق رجب جفنيه وغط في

نومه على آخر كلمة من كلمات الرقية . أمّا الشيخ عبد الحى فانتحى
ناحية النافذة وجلس تحتها الترفصاء معتمداً رأسه بين يديه
وأخذ يفكر فى هدوء وخمول . وقامت أم نبوية بعد أن أتمت
مهمتها بنجاح ، تخرج قدميها جرّاً وقصدت بمهل الى حجرة الحزن
ونامت فيها



ومضى أسبوع آخر والحلم ملازم رجب في يقظته ومنامه .
واجابات الارواح غامضة لكنها تنطوى على معانٍ مخيفة .
وتفسيرات الشيخ عبد الحى اوضحت سخيفة مملة . فضايق صدر
رجب . وصاح بغتة قائلاً :

— لماذا لا أذهب الى أستاذى حلجيان وأطلب معونته فى

هذه الازمة العصبية :

فضرب الشيخ عبد الحى رأسه بيده وصرخ مجيئاً رفيقه :

— حبذا الفكرة . كيف لم تطرأ على قلب الآن . . هلم

وسرعان ما ركبا الترام ووصلا لمنزل حلجيان . فقابلهما بكل

بشر وترحاب . وقادهما الى حجرة « المشورة » وسألها برفق عن

حاجتهما فتكلم الشيخ عبد الحى مجيئاً بالنيابة عن رفيقه . وأخذ

يشرح للاستاذ قصة الحلم الخيف واجابات الارواح الغامضة . وكانت

القصة مثيرة لاهتمام حلجيان فنظر الى الشيخ طويلاً . واخذت

دائرة عينيه تتسع ، وحاجباه يرتفعان ، وفمه ينفرج . ثم بدأ يشعل

لماقة من التبغ وجعل ينفخ الدخان من فمه وأنفه بكثرة وعلى



﴿وجعل ينفخ الدخان من فمه وأنته بكثرة وعلى أشكال متعددة﴾
أشكال متعددة . وكان الشيخ عبد الحى يعجب بطريقة حاجيان
هذه في التدخين . وهى الطريقة التى يستعملها عادة عند حل المعضلات

أما رجب فكان اثناء ذلك صامتاً لا يتحرك ينظر بحسرة الى استاذہ ويعدّ نفسه لسماع حكمه عليه . والتفت اليه حاجيان أخيراً وبدأ يوجه الاسئلة اليه . وكان يحملق فيه بامعان ويكثر من قتل شاربہ . ويحرك يده حركات تشبه حركات المشعوذين . كان يطرح السؤال ولا ينتظر الاجابة عليه بل يجعل يتكلم عن نفسه باسهاب . ويدور في الكلام دورات غريبة . فبينما هو منهمك في رواية قصة شقيقة وقعت له تدل على ذكائه ومهارته اذ به يباغت رجباً بسؤال جديد ثم يعود الى اتمام قصته وهلم جرا . وأخيراً أخبر رجباً انه لن يستطيع أن يخبره بشيء عن مسألتہ الا بعد عمل الاستخارة الليلة على المسبحة بعد صلاة العشاء مباشرة ، واستجواب الارواح قبل صلاة الفجر . وزعم أن هذه هي الطريقة المثلى المتبعة في مثل هذه الاحوال .

* * *

وعند عودہ رجب والشيخ عبد الحى الى المنزل استلم الشيخ برقية من أحد اقربائه يستدعيه جالاً الى البلدة لوقفة أحد أعمامه واستلام حصته في الميراث . فاقترض من رجب ثمن التذكرة وسافر في اليوم نفسه ، واعد رجباً بالعودة بعد أيام توزيع الميراث .

وشعر رجب بالوحشة تملأ نفسه بعد رحيل صديقه وأمضى بقية اليوم وحيداً تتنازعه عوامل القلق والهم . وفي الصباح بكر في الذهاب الى حاجيان . ولما صارا منفردين في حجرة « المشورة » أجلسه الأستاذ على مقعد بالقرب من المكتب ، وجعل هو يسير في الغرفة ذهاباً وإياباً مطأطئ الرأس كأنه مشغول بدرس موضوع عميق . وكان رجب يراقبه خلسة مراقبة تجلى فيها الغرغرة . وأخيراً وقف حاجيان بغتة امام رجب وحك رأسه الاصبع بخصرة . وقال له على الفور :

— ليس أمامك الآن إلا حل واحد ، اذا أردت خلاص نفسك من عذاب الشك .

فحملق رجب في وجهه وهو يكاد يبتلع بنظرانه الجماعة وقال بلهجة التلهف والاستعطاف :

— وما هو هذا الحل يا أستاذي ؟ قل لي يربك واتقذني من عذابي الاليم .

ولكن حاجيان تابع سيره في الغرفة ذهاباً وإياباً وقتاً ليس بالقصير ، حتى كاد صبر رجب ينفد . ثم عاد الى مكتبه بسكون وضرب جبهته بيده وقال مجيباً رجياً على سؤاله الاخير :



— وضرب جبهته يده وقال ... —

— هو أن تلجأ الى بكليتك وتمنحني ثقتك .. لانه بدون ذلك لا أستطيع أن أنفعك بشيء ... الثقة قبل كل شيء ... هالك يدي ممدودة لا تقاذك فهل ترفضها. فصرخ رجب بانفعال شديد واكب على يد أستاذه يقبلها بحرارة، قائلاً :

— أنا لك يا أستاذي . كلي لك . فأطلب مني ماتريده . فابتسم حليجان ابتسامة هادئة وقال :

— بارك الله فيك يا بني . هذا عهدى فيك .. ألا فاشكر الله
الذى هداك الي* .

— انى معتمد عليك ، بعد الله ، فى خلاصى من محنتى .
وقد وهبتك حياتى ووضعت تحت أمرك كل مالى . فتصرف فيهما
كيفما تشاء .

فشد حلجيان على يده .



وبدأ رجب يعطى استاذة عن سعة مؤملا نجاته على يده .
 وكان يتبع تعاليمه حرفياً فيحضر حلقات الاذكار التي كان حلجيان
 يقيمها من أنفار البرابرة والصعايدة والمجاورين الغرباء . وكان
 يقيم الصلاة مئات من الركعات في اليوم ويصوم الايام المتوالية ،
 ويعدد على المسبحة اسماء الله الحسنى وبعض نبد من كتاب دلائل
 الخيرات آلاف من المرات . فأنثرت هذه الفروض الثقيلة تأثيرا
 كبيرا عليه جمانيا ونفسيا وماليا . فضمحل جسمه وشحب لونه
 وغارت عيناه . وتحولت نفسه من نفس هادئة تنعم بالاطمئنان
 والراحة الى نفس حيرى ترسف في اغلال الشقاء والكرب .
 واختل مزاجه العصبي اختلالا كبيرا فساورتها المخاوف ليل نهار
 وأصبح « الشك في أمر ايمانه » فكرة متسلطة على دماغه لا تبرحه
 حتى في ساعات نومه . أما ماليته فكانت سائرة الى الافلاس على
 عجل ، اذ كان حلجيان يرهقه بطلباته التي لم يكن ينضب لها
 معين . وكان يتفنن في هذه الطلبات تفننا عجيبا . فن اجرة
 للاستشارات الى ثمن للتدور الى مبالغ للاذكار والزار الى صدقات
 وهمية للفقراء .

واستمر الحال على هذا المنوال عدة أشهر . وطالت غيبة الشيخ عبد الحى فى بلده ولم يسمع رجب عنه خبرا ما ويؤس من عودته . وتيقن انه قد استوطن قريته من جديد بعد ان نال حصته من ميراث عمه . وكان كلما استوضح حلجيان عن مسأله طلب منه الاخير ان يتركه يعمل على مهل وان يتدبر بالصبر ، بينما كان ينفث فى قلبه من حين لآخر سحوم الشك القاتل . فاذا رآه فى اسوأ حالات اليأس أنفذ الى قلبه وميضاً ضئيلاً من نور الامل يحى موات نفسه من جديد . وهكذا كان يلعب حلجيان « ارجوزه » وفق مشيئته ويستدره مالا وفيرا وطاعة عمياء وثقة لانهاية لها .

وتدرجت حياة رجب من سىء الى اسوأ فنفدت تقوده جميعها . والنجا الى عمه يفترض منه فلم يمنع عنه عمه شيئاً فى بادىء الامر . ولكن الاقتراض انقلب استجداءاً متتابعاً . فتعامل العم وبدأ يرفض . ونصحته ان يعود الى العيش معه كسابق عهده فيقاسمه ماله ومنزله ويغدو عبيد الاسرة من بعده .

واصيب رجب بأرق شديد لم تنجح فيه حيلة . وتراعت له الاشباح دائماً فصار يهرب الظلام ويقضى الليالى بجوار نور المصباح فزعا مبلبل الفكر مضطرب الاعصاب . واذا غلبه النعاس

وارتمى على فراشه مثقل الرأس ، وهبت على المصباح نسمة من
نسبات الليل اطفأته . واستيقظ بعد ذلك على اية حركة ضئيلة
فهناك السكارة الكبرى ، اذ يشعر كأن الغرفة قد امتلأت
بالشياطين يريدون أن يجروه الى هاوية الكفار . فيدخل رأسه
تحت لحافه ويضم أطرافه بعضها الى بعض فيغدو كتلة لا يعرف
مبدؤها ومنتهائها . وربما مكث على هذه الحالة ساعات متواليات
وهو في أشد حالات الانزعاج . ولا يهدأ له روع حتى ينفذ من
نافذته أول شعاع من أشعة الفجر فيرفع الغطاء عن رأسه وينظر
الى ما حوله متلصصا فاذا ما رأى النور ذكر الشهادة عدة مرات
وقام يستنشق هواء الصباح العليل . .

ويمضي بقية النهار في حجراته لا يرى فيها وجه مخلوق غير
أم نبوية في بعض الأحيان . واذا خرج من دأوه تحاشى رؤية
الناس حتى انه غير طريق سيره ليتلافى المرور أمام دكان الشيخ
عبد الوهاب المكي . لقد كان يخشى الناس جميعا وينفر منهم
جميعا . وكان يخيل اليه وهو سائر في الطريق أن عيونهم ترمقه
شزراً وأنهم يتهايمسون عليه محذرين بعضهم بعضا منه . وشعر
كأن الاثم والمنكر والضلال وخاصة الكفر قد انطبعت جميعها على
محياه فأصبح من العبث أن يخفيها . فكان يسير خجلا لا يلتفت



ويشعر كأن الغرفة قد امتلأت بالشياطين ..

يمينا أو شمالا . يجده في السير ليهرب من سخريّة الناس الوهميّة به
واحتقارهم إيّاه .

وبدأ يشعر بذل الحاجة فتكشف في طعامه مضطراً . ولولا
بعض المال كلّ التي كانت تأتيه بها أم نبوية رافقة به لأمضى الليالي
والأيام فريسة الجوع . أما منزله فقد خلا من الأواني والأثاث
ولم يبق فيه إلا حصيره الممزق وملابسه المهلهلة .



وبدا ينتابه من وقت لآخر ذهول غريب فيشعر كأنه
انقل الى عالم آخر لا يرى فيه من المناظر إلا كل مبهم مشوش -
عالم مملوء بالاشباح الخيفة والارواح الشريرة ثم يعود بالتدريج الى
حالته الاعتيادية فيظن نفسه أنه غفا غفوة قصيرة انقل فيها الى
عالم الاحلام .

ورجع مرة الى منزله على أثر مقابلته للحليان وكانت مقابلة
مرهقة عذبه فيها استاذ بهموذته الغريبة وسلبه ما يمتلكه من
نقود قليلة كانت عن طعامه هذا اليوم ، فأمضى الوقت وحيداً
يفكر في حالته وما وصل اليه من بؤس وفقر . وقرصه الجوع فلم
يجد ما يتبلغ به غير قطعة جافة من الخبز لم يستطع قضمها فبلها في
الماء ورش عليها قليلا من الملح وأكلها بشره . وجلس متربعا
على الحصير واعتمد بدقنه على كتفيه وحلق أمامه وهو يشعر
بالنار يتأجج لهيبها في رأسه . جلس جالسته هذه مدة لا يعرف
مداها لم يتحرك أثناءها حركة واحدة . ثم صحار ويدا وقم
متكاسلا فنظر حوله نظراً مشدوهاً غريباً . وأخذ يسائل نفسه عن
هذا المكان وكيف وجد فيه . ثم تدرج الى نقطة عويصة وقف

فكره امامها جامدا لا يعرف لها حلا . وإبتسم ابتسامة خفيفة ثم
تكلم بصوت مسموع وهو يفكر بجهد قائلا :
— ألا أستطيع أن أعرف من أنا ؟

وأخذ يكرر بصوت عال سائلا نفسه من هو . واشتدت

مجادلته مع نفسه واتهامه إياها بالخبث وإخفاء الحقائق عنه .

وفكر كثيرا فلم يهتد الى جواب لهذا السؤال مطلقا . فأخذ

يروح ويجيء بسرعة في الغرفة . يقعد تارة ويهب واقفاً أخرى

ثم يتكلم بصوت خافت كأذ يهمس في أذن أحدهم راجيا منه

ببساطة أن يخبره من هو . وحين تعييه الحيلة في معرفة هذا السر

بالين يعود الى الصراخ شامتا لاعنا . وفي هذه اللحظة دخلت

أم نبوية الحجرة وهرعت اليه تسأله ما الخبر . فكرر لها السؤال

فارتاعت وأخذته جانبا وأجلسته على كومة فراشه التي في ركن

الغرفة وأتت له بالقلعة ليشرّب منها . ثم طلبت منه أن يغسل وجهه

بالماء فلبى طلبها . وأخذت تلاطفه وتهدهه وتبعد عنه هذه الفكرة

الغريبة حتى استطاعت في النهاية أن تنسيه إياها .

وأفاق رجب من ذهوله وعاد الى حالته الاعتيادية . وفكر

فيما وقع له فاتضح له حقيقة أمره فارتعد فزعاً ودنا من أم نبوية

يستوضحها عن حقيقة الأمر . فحاولت عبثا إخفاءها عنه ولكنه

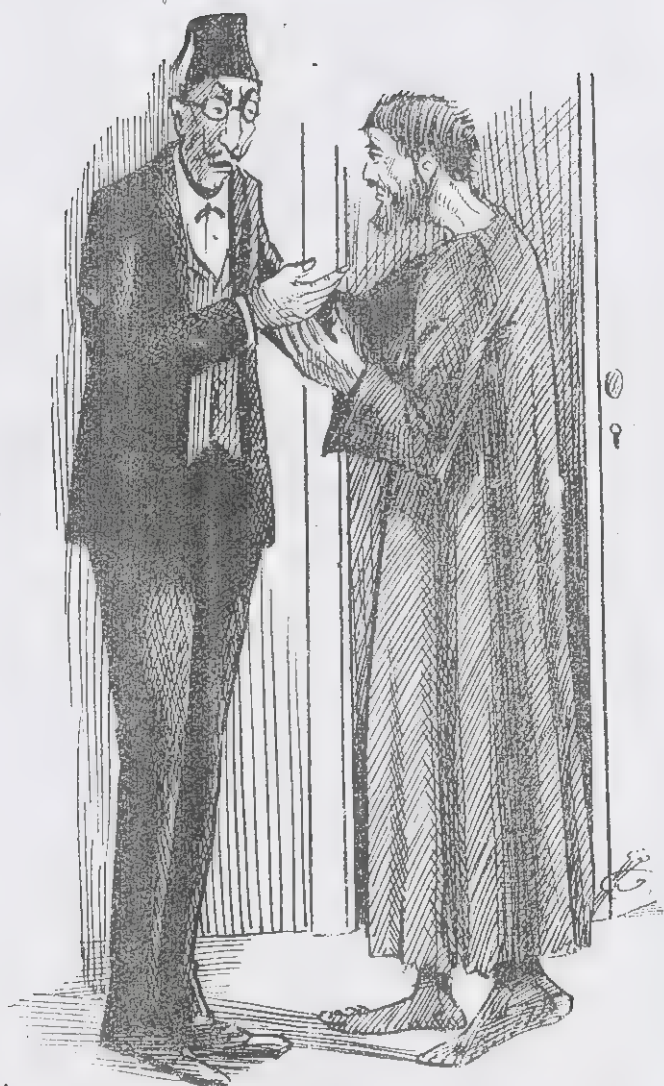
استطاع أن يعلم منها ما يريد . وكان وقعها ألماً في قلبه فاصفر وجهه
وارتجفت أعضاؤه واندفع يبكي برارة وألم وهو ينطق بكلمات
وُجمل لا رابطة بينها . فأخذت أم نبوية تهديته من جديد وهي
تمسح بين فترة وأخرى دموعها المتساقطة على خديها . وبغته قام
رجب فدفعا جانبا وهروا الى الخارج هاربا عارياً الرأس
والقدمين ، في أقسى حالات انفعاله . فخرجت المرأة على أثره
تريد اللحاق به خوفاً عليه أن يصيب نفسه بأذى . ولكنها لم
تكد تصل الى عتبة الباب الخارجى حتى ارتمت على الارض
واهنة القوى تلهث من شدة التعب . ولما تحققت أنها لن تستطيع
اللحاق به شرعت تناديه بصوت ضعيف متقطع مستحلفة اياه بأغلاظ
الايان أن يرجع اليها ويرحم نفسه . ولكنها لم تحظ منه بجواب
وسرعان ما اختفى عن نظرها . فأخذت تنادى الناس بولولة
مستحلفة اياهم أن يلحقوا به ويمنعوه من اضرار نفسه . فاجتمع
عليها رهط من النساء والرجال والاطفال يسألونها بلهفة ما الخبر ؟
وقد ظنوا أن أحداً مات في المنزل . فلما علموا منها أن الأمر
ليس فيه موت تفرقوا صاخبين لأنها أفلقت راحتهم على شيء
لا يستحق الاهتمام . ولكن الاطفال عزموا على اللحاق برجب
ورأوا في ذلك لعبة جديدة يتسلون بها . وما كادوا يصلون الى
نهاية الحارة حتى انقلب عزمهم على اللحاق به الى مسابقة فيما بينهم
وعادوا وهم يضحكون فرحين .

خرج رجب يجرى صوب محطة الترام قاصداً الذهاب الى
حلبجان . ولكنه لم ينتظر وصول القطار ليركبه بل تابع عدوه
بجوار الشريط الحديدى حتى وصل الى منتصف الطريق . وقد
مرّ بجواره ثلاثة قطارات متجهة نحو « السيدة » فأراد تسلقها ابان
سيرها فأخفق . وكاد ينجح فى المرة الأخيرة ولكن قدمه انزلت
فوقع على الأرض واتسخت يده وملا بسه بالطين اذ كان الطريق
حديث الرش . وأصيب بجرح فى خده سال منه الدم . ولما أنهكه
التعب أخيراً انتحى ناحية فى الطريق وجلس على حجر ينظف
يديه وملابسه ويجفف دمه الممزوج بمرقه . وكان يتنفس تنفس
الحموم فى أشد حالات مرضه . وانطبع على محياه طابعا الخوف
والآلم بأقسى معانيهما . وأخذ العرق يسيل على وجهه خيوطا
متعرجة بلون التراب كانت تخطط بخيوط الدم المنبثق من جرحه
فتكسبه بشاعة وقبحا .

ولما نال قسطه من الراحة قام متمهلاً يتابع سيره الى أن وصل

الى منزل حلجيان . ولما لاقاه الرجل في حجرة الانتظار فنظر اليه ملياً يفحصه وقد أخذه العجب من هيئته وساورة الشكوك في أمره ولكنه اضطر بحكم الظروف أن يدخله في حجرة « المشورة » وأن يسأله عما به . فركع رجب أمام أستاذه وأخذ يده بشدة ولطف بين يديه وجعل يقبلها ويندرف الدموع . فأخذ حلجيان يهدى روعه ثم سأله أن يشرح مسأله لينظر فيها . فجلس رجب القرفصاء على الأرض يروي قصته الجديدة ، وكان كلما تعمق في الرواية باسطاً لأستاذه حوادثها كان الفرع يتسرب رويدا الى قلب حلجيان ، وقد راعه من رجب نظراته الزائغة الخيفة .

تأكد حلجيان أن رجباً يجتاز في هذه الآونة أزمة عقلية شديدة الخطر . فعزم أن يتخلص منه نهائياً ، إذ وجده لا نفع منه بعد اليوم . فانتظره حتى أكمل حكايته ثم دنا منه وهو يتكلم الابتسام ووضع يده على كتفه وهزه بدعابة مطمئنا إياه . وتكلم ولكن بدون مقدمات . فأخبره بأنه لا خوف عليه مطلقاً من هذه النوبة فما هي إلا بداية حسنة تبشر بالنجاح . والآن يستطيع أن يتأكد أن مسأله العاصية قد حلت على الوجه الأمثل ... وكانت



ووضع يده على كتفه وهزّه بدعاية مطمئنا اياه

مفاجأة في غير موضعها . فنظر اليه رجب بذهول لا يعي ما يقول .
فلما رآه حاجبان بهذه الصورة لطفه مرة أخرى ، مظهرًا له التودد
والاخلاص ، وأعاد عليه ما قاله بصوت أكثر وضوحًا من سابقه .
فلم يزد رجب إلا دهشة وذهولاً . ووقف صامتاً لا يتحرك .
فتضايق حاجبان ولكنه كظم ضيقه . وابتسم بتضع زائد وأعاد
عليه كلامه للمرة الثالثة ولكن بصيغة أخرى وبلهجة أقوى .
وأخيراً تكلم رجب بمد أن دعك عينيه بكافى يديه . وكان
صوته أجش النبرات مرتجفاً :

— أحقا ان مسألتى قد حُلت على الوجه الأمثل . ولن أعد
أخشى مكروها بعد اليوم ؟ ! ولكن كيف ذلك .. كيف ذلك !

فحده حاجبان بنظرة حادة وأجابه ، وقد بدأ صبره ينفد :

— طبعاً انتهى كل شيء على أحسن حال . ألا تثق في

كلامي ؟ .. ألا تصدقني ؟

— عفواً . عفواً . ولكنك تخفى عنى الحقيقة ...

— كيف ذلك . والحقيقة ما ذكرت

— اخال أن المسألة قد انتهت على شر ما يكون . وضاع كل

أمل فيها .

ثم خنقته العبرات دفعة واحدة فأخذ يبكي أمام حلجيان بكاء مرّاً . ودنا منه حلجيان وجعل يسكته تارة باللين وتارة بالشدة ، ورجب لا يستمع إلا لوحى قلبه فيزداد بكاءً ونحيباً . وأخيراً هزّه حلجيان بغضب وأخبره أنه على موعد مع أحد الزوار فيجب أن يكفّ عن بكائه ويكتفى بما سمعه منه . ولكن رجباً كان مندفعاً في البكاء فلم يدرك من كلام حلجيان شيئاً . وأمسك بيديه متشبهاً بهما وأخذ يقبلهما بحرارة ويفسلهما بدموعه الغزيرة وهو يستعطفه راجياً منه أن يخبره بالحقيقة . فدفعه حلجيان بشدة وصرخ فيه بحنق قائلاً :

— لقد قلت لك كل شيء . فليس عندي ما أقول .

فماد رجب يقترب منه وأراد أن يمسك بيديه . فتدارك حلجيان الأمر ودفعه إلى الخلف دفعة صدمت رأسه ببلاط الغرفة فانفتح جرحه وأخذ الدم يسيل منه بغزارة . فانزعج حلجيان ولم يعد يعرف ما يفعل . ثم هروا نحو الباب وفتحه بسرعة واتجه نحو رجب وهو يصيح فيه صياحاً خافتاً ، يأمره أن يخرج في الحال . وشعر رجب بألم ودوار من أثر الصدمة فقام متمهلاً وجعل يمسح

جرحه بيده القنطرة . فإلطح الدم وجهه وأكسبه هيئة خفيفة بشعة .
وأخذ حلجيان يدفعه نحو الباب بشدة وعنف . فتوقف
رجب يتبين الأمر . ولكن حلجيان كان جادا في دفعه . فالتفت
إليه رجب وقال :

— دعني وشأني . اتركني .

— ليس عندي وقت لسماع كلامك .. أخرج . أخرج .
فلمعت عينا رجب بوميض غريب وتشبث في موقفه صامتا .
وصرخ حلجيان من جديد يأمره بالخروج . ولكن بلا جدوى
وأخذ يدفعه فلم يتحرك . فتسرب إلى قلب حلجيان الخوف
ووقف متحيراً . وأخيراً اقترب منه وتكلف بعض مظاهر
البشاشة والرضى وسأله قائلاً :

— والآن ماذا تريد يا عزيزي . ألم أخبرك بكل شيء . ألم
أطمئنتك على نفسك .

فتكلم رجب بصوت أجش وهو ينظر إلى حلجيان نظراً تائهاً
مريئاً وأجاب :

— أريد أن أعلم الحقيقة .

فنظر اليه حلجيان برعب ولم يتكلم . كأنه يفكر في مخرج له
من هذا المأزق الحرج . ولكن رجياً قطع عليه تفكيره بأن
دنا منه وقد جحظت عيناه وتلبد وجهه بغمامة كدبرة ، وقال
بصوت منهدج :

— كنت تكذب عليّ ، كنت تغشني

فتكلم حلجيان متاجلجلاً :

— أنا أ كذب عليك يا بني . أنا . أنا . ١٢

فصرخ رجب من أعماق قلبه صرخة هزت كيانه حلجيان
بأكمله فأصططت أسنانه هلعها وبدأ العرق يغمر وجهه . واقترب
منه وأمسك بكتفه بشدة وقال :

— أريد أن أعلم الحقيقة ،

لقد انقلب رجب في لحظة من حمل وديع كان يبكي مستعطفاً
إلى عمر مفترس أخذ يزور هائجاً . وبلغت الخيرة والرعب حديهما
عند حلجيان فأراد أن يتخلص من رجب هارباً فلم يستطع إذ
كانت قبضة رجب كخشب الباشق قد انشبت أظافرها في كتفه .
فلم يجد الرجل أمامه غير الاستغاثة فأراد أن ينادى مستنجداً
بخادمه ولكن رجياً أمسك برأسه وسد باحدى يديه فمه . فارتعد

حاجيان وجعل يستمطقه بحركات يديه ونظرات عينيه . وأخيراً
رفع رجب يده عن فم حاجيان ليدعه يتكلم . فقال الرجل مسترحماً :
— ارحمني وأخل سبيلي . أنسيت يا بنى أبى أستاذك . . .
أعطيني يدك لاقبلها .

— مستحيل أن أتركك قبل أن تخبرنى عن الحقيقة .
ولكن آية حقيقة . ألم أخبرك بكل شيء ؟
— أريد أن أعلم هل نصيب الجنة أم النار . أنا مؤمن . أم
كافر . تكلم . تكلم سريعاً .

— نصيبك الجنة بلا ريب . .

فصرخ رجب قائلاً :

— أنت كذاب . كذاب .

وأمسك برقبة حاجيان وشد عليها بقوة وهو يقول :

— عجل باخبارى عن الحقيقة .

فصرخ حاجيان باختناق صراخاً متقطعاً وأجاب :

— أبى أختنق . . أموت . . دعنى أتكلم . .

— أخبرنى عن الحقيقة

وجعل يزيد الضغط على رقبة حاجيان . فجحظت عيناه

وتدلى لسانه واكفر وجهه . فإشار الى رجب اشارات يفهم
منها أنه سيمترف له بالحقيقة . فحفف رجب الضغط قليلا واستحس
على الاجابة فتكلم حاجيان بجهد وهو يرتجف من هول الموقف ،
قائلا :

— الحقيقة أنك كافر ونصيبك النار .
فسرت في جسم رجب رجفة مريعة . وكشر عن أنيابه ،
يتسم الحاجيان ابتسامة مرة كريهة كابتسام الوحش الذي يهزأ
بفريسته . وقال له :

— آه ، ألم أقل لك انك رجل منافق ؟ كنت تضحك على
أليس كذلك ؟

فاعترض حاجيان بيده وهو لا يستطيع الكلام . وأخذ
رجب يضحك ضحكات طويلة مختلفة . وعاد الى الكلام فقال :
— اذن سأذهب الى جهنم . . هذا جميل جداً . ولكن أنت
الى أين تذهب . الى الجنة ؟ !

ورنت ضحكة خفيفة هائلة . وأتم كلامه قائلاً :

— كلا لا أدعك تذهب الى الجنة . مطلقاً لقد حكمت عليك
بالذهاب معي الى النار . أفهم ما أقول ؟

وجعل يشد على رقبة حاجيان بقسوة وهو يتكلم بصوت

خافت خشن :

-- مستحيل أن أذهب بمفردي الى النار . يلزمي رفيق

وها قد وجدتك . فانت نعم الرفيق . تعال معي . تعال . .

وجعل يضغط على عنق فريسته بتمعن واهتمام حتى أجهز عليه

ولسكنه لم يتركه حتى ناله التعب . وخشى أن يفلت منه من جديد

فجلس على الجنة . هو يحدق فيها بجنون . . .

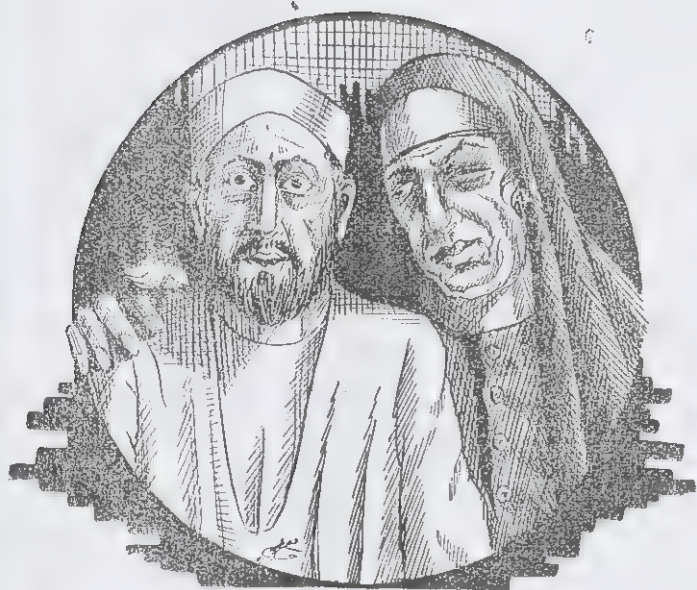


وصدرت جرائد المساء وفي محلياتها النبذة الآتية :

﴿ جريمة فظيعة في حي السيدة زينب ﴾

« جاءنا والجريدة ماثلة للطبع خبر جنائية فظيعة ارتكبها المذمور رجب ابراهيم من سكان سيدنا الحسين اذ قتل خنقا المرحوم الحاج احمد حلجيان من رعايا الحكومة المحلية . وسمسار عقارات وأطيان في محل عمله بالسيدة زينب . وقد قبض البوليس على المجرم وساقه الى القسم فأتضح أنه مختل الشعور ... »

وبذلك أسدل الستار على حياة رجب الأولى ورفع الستار عن حياته الثانية في مستشفى المجاذيب حيث يمضي فيه بقية أيامه . وقد أنكره عمه وسائر معارفه إلا شخصاً واحداً بقى مخلصاً له وفياً على عهده للنهاية . وهذا الشخص هو « أم نبوية » التي كانت تذهب لزيارته كل أسبوع فتقدم له بعض الحلوى والمسآكل وتبكي بجواره كما تبكي على ضريح ابن لها .



وهذا الشخص هو أم نبوية التي كانت تذهب لزيارته كل أسبوع

المحكوم عليه بالاعدام

كلمة المؤلف

بعد انتهائي من تصحيح « رجب أفندي » وتسليمه المطبعة رأيتُ القصة أقصر من أن تملأ كتاباً في الحجم الذي اعتدتُ تقديمه لجمهور القراء الافاضل . لذلك أضفتُ قصة « المحكوم عليه بالاعدام » على السابقة . والقصتان من نوع واحد تقريباً . اجتهدتُ أن أصور فيهما صوراً من الفرع والرهبة ، وأن أحلل شخصيتين من الشخصيات المريضة . فأرجو أن أكون بعلمي هذا قد وفقتُ لارضاء قرأى الافاضل . ما

المؤلف

المحكوم عليه بالاعدام

- ١ -

دخل قاسم بك حديقة جروبي ودار بعينيه في الجالسين ؛
وكانوا رهطاً من الاوانس والسيدات والشبان والرجال ، يجتمع كل
ثلاثة أو أربعة منهم حول مائدة عليها كؤوس المشروبات أو صحاف
المأكولات الخفيفة . وكانت الثريات تنير الظلمة التي عجلت
قدومها ظلال الأشجار المتعاقبة المزدحمة الأغصان . وكان يسود
جو المكان همهمة عامة ليست بالجلبة العالية ولا بالهمس الخفيف
إذا أنصت اليها الانسان انصاتاً تاماً استطاع أن يميز عناصرها
التي كونتها : فهذا يتكلم وهذا يضحك وهذا يقرع طبقه بملقته
وهذا ينادي الخادم . . . ينذر أن تجدد بين الجالسين شخصاً
ليس مهندياً ، لا يليق وجوده في هذا المكان بين هؤلاء القوم
أخذ قاسم يدور بعينيه في وجوه الجالسين ثم أشرقت على
وجهه ابتسامة صغيرة وأشار بيده الى أشخاص منزوين في ركن
بعيد إشارة عادية كأنه يقول لهم : « هذا أتم ! »

ذهب الى أصدقائه فصباحهم واحداً واحداً . ثم جلس على
مقعد وهو يردد قوله :

— لا أدري لماذا اخترتم هذا المكان المنحسب الهواء .
ألم تجدوا محلاً خيراً منه ؟ .

وكان رفاقه ثلاثة : منصور ، وقدرى ، ونجيب . يحملون لقب
بك ككافة الناس الذين فى درجتهم وعلى شأ كلتهم . أما منصور
ففق عاقل يضرب به المنل فى البطالة والكسل . ليس له من
شغل يشغله فى الحياة ، ولا مطمع أو أمل فيها إلا أن يعيش كما هو
عيشة الكسالى ، يتقاضى مرتبه السنوى من الأوقاف الأهلية
ويمضى معظم وقته فى المشارب العامة ودور الملاهى . أما قدرى
فمن هواة الألعاب الرياضية وموظف بوزارة المعارف . جسمه رقل
صلب بأكتاف عريضة وساعدين مفتولين ووجه حليق عريض
مورّد الخدود دائماً . له كلام موزون وإشارات تدل على الرجولة
والنشاط . أما نجيب فمحام لا يكتسب من صناعته . جسم ضئيل
ونظارات سمكة ، يطيل شعر رأسه ويلبس الكرافت الياپيون
على طريقة أرباب الفنون الجميلة ، اذ له بعض الولع برسم
الصور الهزلية

وتكلم منصور مجيباً قاسماً بقوله :

— الحر عام في كل مكان . جميع الموجودين هنا يكادون
يحتنون وأنا أولهم . اقنع مثلنا بشيء مثليج .

فامتثل قاسم وطلب من الخادم أن يأتي له بطبق من الدندرمه .
وكان يهوى على وجهه بمنديله الحريري المعطر . فيفوح منه عطر
عبق يصل إلى أنوف أصدقائه . فصاح منصور قائلاً :

— الله يا قاسم . ماهذه الرائحة الجميلة . من أين أتيت بها يا أخى .
وكان قاسم مشهوراً بين الجميع بتفنه وحسن ذوقه في انتخاب
الروائح العطرية . يجمع منها عنده أصنافاً متعددة . هو شاب سليم
الذوق ، طروب ، لكنه عصبي المزاج . له ملامح حسنة في مجموعها
ضامر الجسم بقامة متوسطة . يفرط في الاعتناء بملبسه . وله ثروة
لا بأس بها يعيش بها مع والدته عيشة طيبة .

وتجاذب الاخوان اطراف الحديث في مختلف الشؤون من
سياسية الى خصوصية الى رواية النوادر والفكاهات . ولاحظ
قدرى على قاسم أنه على غير عادته . ظاهر عليه بعض الانشغال
والتفكير . فاقرب منه وقال له وهو يتسم :

— ما يشغلك يا صديقى اليوم . لست كعادتك طروباً . أين
نوادرك وأخبارك اللطيفة ؟

- أنى على خير ما يُرام . أنما لا يخلو الانسان من بعض
المواجس والمشاغل .

ومرت فترة عاد فيها الإخوان الى حديثهم السابق . واشعل
قاسم لفافة من التهنع وجعل يتأمل دختها . ثم أخرج بسكون من
جيبه ورقة حمراء لا فرق بينها وبين أوراق الاعلانات الخاصة
بالمسارح ودور السينما . ونشرها أمامه على المائدة . وقال لرفاقة
بلمجة ظاهرها هزل ودعابة :

- من منكم أيها الاخوان يريد أن يعلم شيئاً عن مستقبله .
هذا اعلان عن منجمة فرنسية ماهرة حضرت من باريس لتمضى
بيننا خمسة عشر يوماً فقط . ألا يريد أحدكم أن يذهب اليها . هيه
يا منصور بك . مارأيك . . وانت يا قدرى بك الا تريد أن
تعرف حظك فى ماتش البوكس الآتى . أو انت يا نجيب بك ألا
تريد أن تطلع على مستقبل قضايك . . ؟

قل ذلك وهو يقلب بصره فى وجوه رفاقه وفيه يفتر عن
ابتسامه ليس فيها جاذبية ولا جمال . فصاح قدرى بعلى فيه قائلاً :
- أقسم أنى قد اكتشفت سر مشاغلك أيها الصديق . لاشئ
غير هذه المنجمة

فاكفهر وجه قاسم وأخذ يردد قوله بعناد وترفع :

— هذه المنجمة ! . حقاً ما أجهلك يا قدرى . ماهذه السخافة .
أنا أشغل فكرى بهذه العرافة وكلكم تعرفون مبلغ احتقارى
لأعمال الشعوذة .

وأخذ نجيب الاعلان وجعل يقرأه بامعان وبصوت مسموع
ووجهه يكاد يلتصق به :

« اكتشاف أسرار الحياة . الماضى والحاضر والمستقبل .

تعلمن مدام مرمييه الفرنسية قارئة الأفكار المشهورة فى العالم
باجمعه أنها حضرت الى مصر وستمضى فى القاهرة خمسة عشر يوماً
فقط . واتخذت لها محلاً فى عيادة الدكتور « تيفولى » بشارع
فؤاد رقم س . هذه السيدة يمكنها بواسطة قراءة كفوفكم أن تخبركم
عن ماضىكم وحاضركم ومستقبلكم بطريقة لا يجارىها فيها أحد .
فيمكنكم أن تستشيروها فى مسائل الزواج والطلاق والميراث
والأعمال التجارية الخطيرة والقضايا المهمة . وغير ذلك . اقصدوا
محلها بشارع فؤاد رقم س تسمعوا العجب العجيب . الأسرار
محفوظة . والحقيقة مهما كانت مؤلمة لا تخفيها . انتهزوا الفرصة قبل
فواتها . الاستشارة يومياً من الساعة ٩ صباحاً الى ٢ بعد الظهر
ويوجد صالون خصوصى للسيدات »

ووضع نجيب بك الاعلان على المائدة باهمال وقد انشغل بتنظيف نظارته . فهوى الاعلان على الأرض وكاد يضيع بين الأرجل لولا أن التقطه منصور بك ووضعه باحتراس فى جيبه وتكلم قدرى بك قائلاً :

— دجالة فرسية تريد الضحك على ذقوننا .. ولكن ماذا أرى . ان منصور بك يريد الذهاب لاستطلاع بخته . أتريد أن تجازف بالذهاب الى هذه العرافة يا منصور لتستشيرها فى مسائل الزواج والطلاق والميراث والاعمال التجارية الخطيرة ؟ ! .

فاستاء منصور من تهكم رفيقه عليه ، والنفت اليه بجسمه البدين وقد احمرت عيناه الضيقتان البراقتان اللتان تشبهان عيون القطط . وقال له :

— أليس الإنسان حرّاً فى تصرفاته ؟ . لماذا تهزأ بي اذا اردت الذهاب الى هذه العرافة لاستطلع مستقبل حياتى ؟

وتكلم قاسم معزاً رأى صديقه منصور :

— حقاً لكل انسان أن يتصرف حسب رغبته .

فأجاب قدرى قائلاً :

— ولكننا نقول في اعلانها : الحقيقة مهما كانت مؤلمة
لا تخفيها . فما رأيكم في ذلك .
فتجهم وجه منصور وجعل يفكر .
وانفرط عقد الاجتماع بعد قليل فذهب كل الى حيث يريد .



عاد قاسم الى منزله وتناول طعام العشاء مع والدته . وتحادث معها في مختلف الشؤون . وطرق موضوع العرافة فأخبرها خبرها . فأصغت الى حديثه ملياً ثم قالت له :

— انى أخشى هؤلاء العرافات يا قاسم .

— أما أنا فأكرههن ولستكنى لأخشاهن مطلقاً .

— لا تذهب اليها يا ولدى .

— ومن قال اننى سأذهب اليها .

— ربما فكرت فى ذلك . لأننى أراك كثير الاهتمام بخبرها .

— لم أفكر مطلقاً فى الذهاب اليها ... ولكن اذا طرأت

على الفكرة مثلاً فانى أذهب لأهزأ بها

— لا تذهب يا قاسم لا تذهب

— ولم هذا الالحاح

— لأننى كما قلت لك أخشى شرهن ... انهن ..

ثم صمتت قبل أن تتم كلامها . وتنهت طويلاً ومسحت

عينها المغرورقتين بالدموع

— ولكن ما بك يا والدتى ؟

— لا شيء . لا شيء ... إنما هذه الاخبار تؤثر على ...
ولكن عدنى أن لا تذهب الى هذه العرافة . عدنى وعداً صريحاً
فابتسم قاسم ابتسامة متكلفة عليها مسحة من الكآبة وقال :
— أعذك أن لا أذهب . فكونى مطمئنة من هذه الجهة .
فانحنى عليه والدته وضمته الى صدرها بحرارة وشوق كأنها
تريد أن تحميه من مكروه يحوم حوله . ثم التفتت اليه وهى تبسم
بين دموعها وسألته قائلة :

— لماذا لم تسهر الليلة مع أصحابك ؟

— أفضل النوم مبكراً

— هل تشكو من شيء ؟

— مطلقاً . إنما أشعر بكسل

— أنت على غير عادتك . وتخفى عنى شيئاً .

فتظاهر بالسرور وقال :

— أنا على غير عادتى وأخفى عنك أمراً .. !! ما أكنز

أوهامك يا والدتى ؟ ثم تتعاب وتمطى وسرح شعره بأصابعه . وقتل

شاربه الصغير فتلاً محكماً ثم قال يريد تغيير الحديث :

— لقد عثرتُ على زجاجة رائحة تفوق جميع ما عندى من

الروائح . شمى هذا المنديل ... ما رأيك ؟

ثم أدنى منديله من أنفها فشتمته بانسراح وقالت :
— رائحة جميلة للغاية .

— سوف أشتري منها زجاجتين : واحدة لي وأخرى لك .
لقد أعطاني البائع اليوم عيئة ، زجاجة صغيرة أفرغتها في منديلي
وعطرت بها يدي ورأسي .
ثم تشاء ونظر في ساعته فألفاها العاشرة فقام واستأذن من
والدته قائلا :

— لقد حلّ ميعاد نومي .

— هكذا مبكرا ؟

— قلت لك أني كسلان

— ولكنك وعدتني أن لا تذهب إليها .

— من تقصدين ؟

— المنجمة

— أوه ... كدت أنسى خبرها

ثم قبلها وقبلته وذهب كل الى حجرة نومه .

خلع قاسم ملابسه وارتدى بيجامة النوم . ثم وقف امام
المرآة يمشط شعر رأسه . وخرج بعد هنيهة الى الشرفة ليستنشق
نسيم الليل العليل الذي جاءت به الطبيعة بعد يوم محبس الهواء ،

شديد الحرارة . واعتمد على حاجز الشرفة بمنكبيه ، تاركا النسيم
ينلاعب بشعر رأسه . وجعل يستعرض حوادث يومه ويستعيد
أقوال رفاقه عن المنجمة وتحذيرات والدته منها . ومكث على هذه
الحالة وقتا طويلا لم يغير فيه وقفته . وكان يشعر أثناء ذلك بانقباض
لا يعرف سببه . وأخيرا اعتدل وناجي نفسه قائلا :

— لستُ رجلا اذا رهبتُ هذه العرافة ...

ثم تظاهر بالسرور وأخذ يردد قوله :

— ما أحسن هذا الهواء .

ودخل حجراته ورأسه يوج بمختلف الهواجز .

أما والدته فكانت في هذا الوقت جالسة متربعة على الكنبه
وأمامها علبة التبغ تلف منها لفائفها وتدخنها الواحدة بعد الأخرى
وهي غارقة في تفكير عميق ، تتنهد بحرارة بين فترة وأخرى كانت
حادث وفاة ابنتها الوحيدة منذ خمس وعشرين سنة تتمثل أمامها
الساعة بتفاصيلها الدقيقة كأنها حدثت بالأمس . كان قاسم في ذلك
الوقت يبلغ الخامسة من عمره وكانت سعداء شقيقته المتوفاة تبلغ
السابعة . كانت فتاة جسورة كثيرة اللعب شغوفة بمشاكسة الناس
والسخرية منهم . وكان قاسم يشاركها لعبها ومشاكساتها . وكانت
تتردد على المنزل في ذلك الحين امرأة عجوز مشوهة تلبس السواد

دائما وتدعى معرفة الغيب ، تأخذ الاحسان من ربة القصر ومن
خادماته وخادميه ، وتكشف للجميع في بعض الأوقات المال
بورق الكتشينه أو الودع . وكانت سعاد اذا رأتها لا تفتأ تعسا
وتسخر منها حتى تضطرها الى الهرب من المنزل ولكن في يوم من
الأيام ضاقت المرأة ذرعا بما كسبه الفتاة لها وتعلبت عليها حماقتها
فلم تعد تفكر في الخير الذي يأتيها من صاحبة المنزل وساكنيه
وانهالت على الفتاة شتما وتقريعا ثم ثنبت لها بموتة فظيعة قريبة
الوقوع . وشاء القدر أن تصدق العرافة في نبوءتها فلم يمض أسبوع
على هذه الحادثة حتى وقعت الفتاة من أعلى شجرة تسلقتها في
حديقة القصر فتمزقت أحشاؤها ونفج رأسها . وماتت على الأثر .



وفي صباح الغد قام قاسم من النوم مبكراً . وأتم زينته وارتداء
ملابسه كالعادة . وكان يظهر على محياه العزم على تنفيذ فكرة
استقرت في رأسه . وبعد أن تناول طعام الإفطار أخبر والدته أنه
على موعد هام مع أحد أصدقائه . وخرج من منزله وركب عربة
أجرة قاصداً محل « مدام مارميه العرافة » في شارع فؤاد رقم ٥٥ .
وكان يتسسم أثناء الطريق وينظر الى الوجوه باطمئنان . وناجى
نفسه بقوله :

— سوف أهزأ بها ، هذه العرافة القبيحة الملتحفة بالسواد .
ووقفت العربية أمام مدخل البناية السكنية فيها عيادة الدكتور
« تيفولى » أو بالأحرى محل العرافة الفرنسية . والتفت الخوذى
الى قاسم وقال له :

— هذا المحل يا سيدي

— حسناً . ولكن هل أنت متأكد أن عيادة الدكتور هنا .

— نعم يا سيدي ومحل العرافة الفرنسية الجديدة أيضاً

— أنت تعرفها ؟

— لقد احضرت إليها عدة زبائن من عليّة القوم .

— ليستطلعوا بختهم . أليس كذلك ؟
— طبعاً . ويقال إنها ماهرة جداً . والمدهش في أمرها أنها
لا تخفى شيئاً . سيان عندها الحسن والسيء . اظنك تقصدها
ياسيدى لان الدكتور فى الاجازة .

— . . . صحيح الدكتور فى الاجازة ..
— وتريد ان تستطلع بختك ؟
— اننى يا اسطى لا اصدق هؤلاء العرافات . وقد جئت
لاهزأ بها .

— يقولون انها امرأة مدهشة وفظيعة .. وأيضاً خيفة ..
فقاطعه قاسم وقد أخذ صوته يتهدج بالرغم منه
— شكلها مخيف وتلبس السواد .. أليس كذلك ؟
— ويقولون ان لها تأثيراً عظيماً على محدثها . لقد سمعتُ
حديثاً طويلاً عنها بين اثنين من زبائنى أوصلتها أمس الى منزلها
وأعطى قاسم للسائق أجرته . ومشى صوب مدخل البناية
وهو يقول لنفسه مرّحدا :

— انها مخيفة وتلبس الملابس السوداء .. لا أدري لماذا أريد
مقابلتها .. لا هزأ بها .. ولماذا أريد أن اهزأ بها .. الا استطيع
العودة . وهل يرانى السائق .

ثم التفت خلفه فوجد السائق في مكانه يراقبه . فأسرع الخطأ
وأخذ يصفر بدون انتظام حتى دنا من بواب العمارة فسأله قائلاً :

— هل هنا عيادة الدكتور تيفولى ؟

— أجل ياسيدى . ولكن الدكتور ...

— فى الاجازة أعلم ذلك .

— وتقصد مقابلة العرافة مدام مارميه ؟

— .. طبعاً . طبعاً .

— فى الدور الأول . الشقة التى على اليمين

— مررسى

وصعد الدرج بلا وعى كانه يعرف المسكان من قبل . وامام
الشقة التى على اليمين وقفت قدماه . ولكن قلبه كان يدق بشدة
فى هذه اللحظة . وكأنه قد صحا من سُبات عميق على أثر صدمة
عنيفة . ورأى على الباب يافطة نحاسية منقوشاً عليها بالكتابة
الافرنجية السوداء : « الدكتور تيفولى حكيم اختصاصى للافراض
الباطنية . ومولد » . وتحت هذه اليافطة معلق قطعة من الورق
المقوى ذات أطوار اسود مزخرف ، قرأ عليها اسم العرافة وميعاد
زيارتها .

وقف قاصم برهة متردداً . ثم قال مناجياً نفسه :

- ولم لا أحضر لزيارتها في فرصة أخرى . . مثلاً بعد الظهر .
وسمع جلجلة في الطابق فكبح بالرغم منه ورفع قامته ثم ضغط
على الجرس وأخذ يصلح رباط رقبته ويأقته بلا مناسبة . وبعد
برهة قليلة فُتح الباب وظهر على عتبة غلام سوداني ذو جلباب
أبيض وحزام أحمر . فسأله قاسم قائلاً :

- الدكتور هنا يا شاطر . أم ليست هنا ؟

- هنا ياسيدي تفضل . ولكنها مشغولة قليلاً .

- إذن يمكنني أن أحضر بعد الظهر .

... ان لديها سيدة مصرية تخرج بعد قليل . تفضل ياسيدي

تفضل .

وقاد الخادم قاسم الى حجرة الانتظار المخصصة للرجال . وهي
بذاتها حجرة انتظار مرضى الدكتور تيفولى . ثم خرج وأقفل
الباب خلفه . ف شعر قاسم بوحشة غريبة استولت عليه اذ كان
المكان مظلماً صامتاً خالياً من الزوار . وجلس على أول مقعد
صادفه في طريقه وقد أخذ الندم يطرق قلبه . ولما اعتاد الظلمة
والوحدة سرى عنه قليلاً فاخذ يفحص الحجرة ومحتوياتها .
فالغماها حجرة ذات أثاث جيد ونظيف . منسق تنسيقاً بديها

يشهد بذوق صاحبه . ولكنها لا تمتاز بشيء يشعر الزائر أنه في محل
طيب أو عرافة إلا إذا استثنينا منضدة لها رائحة العماقير ملقى
عليها باهمال مجالات فرنسية بين مصورة وغير مصورة .
ولم يطل انتظار قاسم طويلا إذ حضر الغلام وأخبره أن
السيدة في انتظاره . فقام وسار خلفه حتى وصل الى حجرة العرافة
الخاصة . وهنا عاد الخادم أدراجة بعد أن أشار لقاسم أن يدخل .
ودخل قاسم الغرفة بخطوات متمهلة حذرة وقد ارتسمت
على وجهه ابتسامة متكلفة فيها محاولة للظهور بمظهر الائق بنفسه .
واتجه نحو المكتب العريض الكائن في احد أركان الحجرة ؛
اذ تبين خلفه شيخ سيده جالسة مشغولة بالكتابة . ولما اقترب
من المكتب كلمته السيدة بالفرنسية بدون أن ترفع رأسها :
- تفضل ياسيدي بالجلوس . وانتظر قليلا ربما أنتهى من
عملى هذا . لحظة فقط .

قالت ذلك وأشارت له على مقعد مريح ذى مسندين بجوار
المكتب . فشكرها بالفرنسية وجلس ثم وضع رجلا على أخرى .
وبدأ يجيل بصره الحائر فى الغرفة فاذا بالسيدة تكلمه فنظر اليها
فوجدتها ما زالت منكبة على عملها . وقالت بدون أن ترفع رأسها :
.. لا تخشى شيئا ياسيدي ولا تضطرب . هدى . روعك .

انك في مكان أمين .

فحملك قاسم فيها بعجب وأراد أن يجيها ولكن لم يفعل .
وكانت جملتها تطن في أذنيه طيننا أشعره بخجل عظيم . وعادت
العرافة الى الكلام وهي ما زالت جادة في عملها . فقالت :

- يوجد على المائدة الصغيرة بجوار مقعدك جريدة مصورة

هزلية . تستطيع أن تسألني بها نفسك فيزول اضطرابك .

- فحول قاسم بصره الى حيث قالت وأخذ الجريدة بحركة

ميكانيكية . ثم أجابها بصوت خافت قائلاً :

- أشكرك . أشكرك ياسيدي ولكني لست مضطرباً .

وجعل يتصفح الجريدة على عجل وبلا انتظام . وكان يناجني

نفسه قائلاً :

- ان صوتها رقيق عذب ... ولكنها علمت باضطرابي مع

أنها لم تر الآن وجهي ... يظهر لي أنها حلوة الحديث ومؤدبة .

ثم طوى الصحيفة وأعادها الى مكانها . وجعل يفحص الغرفة

ومحتوياتها خصوصاً سريراً . فلم يلفت نظره المضطرب إلا ستائرُها

السود المسدلة على الأبواب والنوافذ . ولم يكن قد انتبه بعد الى

أن النوافذ جميعها مقفلة وان نور الكهرباء يضيء المكان . ووقع

بصره بغتة على جمجمة بشرية موضوعة على حافة المكتب ومركزة على قاعدة رخامية فسرت في جسمه قشعريرة . وادمن النظر الى هذه الجمجمة وأخذ يسائل نفسه عنها . فاذا بالسيدة تكلمه ، وهي ما زالت على جملها المعروف . وقالت :

— هي جمجمة أمي . لا تجزع منها . كانت سيده طيبة القلب عفيفة . ومحترمة .

فاهتز قاسم بالرغم منه وانعقد لسانه فلم يجر جوابا . ووضعت السيدة جانبا القلم ورفعت رأسها من على الورق وقامت بنصف قامتها من على مقعدها ومدت اليه يدها مسلة . فسلم عليها باحترام واذا به يتمتم مناجيا نفسه بالرغم منه :

— انها جميلة .. ولكنها تلبس السواد .

لقد كانت في الخامسة والاربعين ، حسناء ، تجيد الزينة ومقصوفة الشعر على الطريقة الغلامية الجديدة (الاجارسون) وفي لحظة تركت محلها خلف المكتب وجاءت قبالة . فاذا هي الى القصر أقرب منها الى الطول . والى النخاعة أدنى منها الى البدانة . وكانت تبسم ابتسامة الجاملة ، خالية من كل تكلف . وادنت مقعدا صغيرا من مقعده ، جلست عليه بعد ان وضعت

المائدة الصغيرة بينهما . وتكلمت وهي ما زالت تبتهس بلطف .
وقالت :

- حضرتك تجميد الفرنسية . اليس كذلك ؟
- أستطيع أن أفهم من يكلمنى بها . وإن أعبر بها عن غرضى .
- ولكنك تجيدها ولهجتك فصيحة . أين تعلق ياسيدى ؟
- فى مدرسة الجزويت .

— مدارس عظيمة تخدم لساننا فى الشرق خدمات صادقة .
وكانت تتكلم متمهلة بلهجة واضحة ونبرات رخيمة وبالقاء
منتظم . فكان لكل كلمة أو جملة لونا خاصا يعبر عنها تعبيراً دقيقاً . .
والتفتت الى الجمجمة وقالت :

— قلت لك ياسيدى هذه جمجمة أمى . ولها حكاية طويلة
ليست من موضوع كلامنا الآن . حسبى أن أقول لك انها تصحبنى
ايما اذهب . فقد دارت معى حول الأرض فى رحلاتى السنوية .
وشاهدت معى ممالك عديدة وتعرفت بأشخاص مختلفي الاجناس
هى صديقتى التى استمد منها وحي افكارى والتى تكشف لى
عن اسرار الحياة كلها . هى تشعر مثلى وترى مثلى وإن كانت
لا تتكلم .

قابض قاسم ابتسامة خفيفة ونحوّت عيناه بسرعة مغناطيسية

الى الجمجمة . وعادت العرافة الى الكلام بلمحنتها السابقة المنتظمة
وصوتها الرخيم :

— انها ياسيدى تشعر مثلى وترى مثلى وان كانت لا تتكلم .
وكررت هذه الجملة مرة اخرى . فلم يتقسم قاسم هذه الدفعة
ولم يحول عينيه نحو الجمجمة . وبدأ يشعر بشيء من الرعب . ثم
أتمت السيدة حديثها قائلة :

— انها ساعدى الأيمن . لا أستطيع العمل بدونها . فاذا
قدّرتلى ان افقدها فسيكون يفقدها نهائى . ولقد كنت استشيرها
الساعة قبل دخولك فآخبرتني عنك و . .

فقاطعها قاسم يسألها باستعجال ولهفة :

— وماذا قالت لك عنى ؟

— تمهل ياسيدى فسأخبرك بكل شيء . . الوقت أمامنا
متسع ... أخبرتني أنك جئت الى هنا مدفوعا برغبة شديدة
لمعرفة مستقبلك وان كنت قد أوهمت نفسك ومن هم حولك
انك تريد أن تهزأ بى .

فظهر الارتباك على قاسم ولكنّه حاول الإنكار . وأخرج
منديله الحريري من جيب سترته الخارجى ومسح به وجهه
المتعص بمركبة عصبية ظاهرة . وكان يناجى نفسه بقوله :

— لا أدري لماذا جئتُ الى هنا ... لا أدري ... لا أدري .
 — لأن هذا مقدرٌ عليك .. ألا تمتدُّ في القضاء والقدر ؟
 فحملتُ قاسم في وجهها مدعوراً وشعر بتفكك مفاصله
 وارتجافها . وتيقن انه مغلوب على أمره . فألقى سلاحه طائماً .
 ومدت العرّافة يدها وضغطت على زر كهربائي على المكتب
 فانطفأ نور الحجرة . ثم ضغطت على زر آخر فأضاء مصباح صغير
 على المكتب نفسه ، مغطى بمظلة سوداء . وامسكت يده اليسرى
 وادنتها منها وهي تقول :

— يجب ان نبدأ العمل ولا نضيع الوقت في الكلام ..
 انت تريد معرفة مستقبلك . اليس كذلك ؟
 قالت ذلك وهي تفحص كفه بتمعن . وكانت تستعين بين
 فترة وأخرى بمنظار له مقبض ذهبي . فلم يتكلم قاسم . وعادت
 السيدة الى أمام حديثها كأنها تكلم نفسها :

— خيوط متعرجة كثيرة .. هذا دليل على
 وصمتت واخذت تنظر بامعان الى نقطة معينة . ثم قالت
 بصوت منخفض :

— هاهو خط الحياة .. هاهو .. غامض .. محاط بسبوم ..
 ولكنه يخرقها ... ثم ...

وتوقفت عن الكلام . فابتلع قاسم ريقه الجاف وسألها :

— ثم ماذا ؟

فلم تجبه وعادت تفحص الكف . واخذت تسكلم عن أمور
أخرى عادية ثم شرعت تسأله بعض أسئلة بسيطة .. وصمتت
طويلاً وهي تفحص يده باهتمام . ثم جمعت تحدث نفسها بصوت

مسموع :

— خط الحياة محاط بسهوم كثيرة .. ولكنه يحترقها .. ثم ..

وتوقفت عن الكلام أيضاً فصاح قاسم بصوت مرتجف :

— ثم ماذا ياسيدي . ثم ماذا ؟

— ألا تريد أن أخبرك عن ماضيك ؟

— ومستقبلي ؟

— فلنبداً بالماضي .

— أفى مستقبلي شيء مخيف ؟

— لقد كانت لك أخت ياسيدي - في الزمن القديم .

— صحيح

— وماتت ميتة شنيعة

— صحيح .. صحيح .. ولكن .. ولكن أريد أن تخبريني

عن مستقبلي . لقد أتيت هنا لأعلم عنه كل شيء .

— ليس كل شيء : ولكن بعض الشيء .

— ان مستقبلي مخيف ؟

— مخيف للغاية .

— ونهايتي ؟

— محزنة وموجبة للشقة ... خير لك يا سيدى أن تخرج

— أخرج ! .. ما هذا الكلام .

— اذن أنت مصمم على سماع كل شيء .

— كل شيء . كل شيء .

وكان ممتنع الوجه متقلص العضلات يأتي بحركات عصبية

كثيرة . أمّا هي فكانت هادئة ووجهها عليه مسحة الابتسام .

وتكلمت بصوت حلو كأنها تفازله :

— يحزننى يا سيدى أن أخبرك بأنك ستموت قتيلا .

فصرخ قاسم بالرغم منه قائلا :

— أموت قتيلا !! .. أنا أموت قتيلا .. هذا كذب .

— وبعد أربعة أشهر فقط

— كذب . كذب . أنت كذابة ولكن . أحقا ذلك

يا سيدتى ؟

— ستموت يا سيدى قتيلا بعد أربعة أشهر . ربما بيد لص .

أو تحت عجلات القطار أو تحت حائط ينهدم عليك .. لا استطيع
ان اقول غير ذلك لقد انتهت الزيارة ياسيدى .. وعندى
اشخاص ينتظرون

— ولكن هذا غير ممكن . قولى شيئاً غير ذلك .

— وكيف . أمى لا تغير كلامها .

وأشارت الى الجمجمة . ثم أشعلت نور الفرقة وقرعت
الجرس فدخل الخادم فأخبرته أن يدخل الشخص التالى . ونهض
قاسم واتجه نحو الباب بذهول . ولكنها اسرعت اليه وقالت له
بكل رقة وأدب :

— اجرة الزيارة ياسيدى . لقد نسيتم

— كم ؟

— مائة قرش ..

— خذى .. هذا من حكم الاعدام على ...

فرئت ضحكتها عاليا . واقفلت الباب خلفه .



خرج قاسم من منزل العرافة ذاهلاً منقبض النفس . وسار في الطريق تقوده قدماه الى حيث لا يعلم . وبقعة تنبهه الى وعيه وصاح في نفسه نائراً : ٤

— هذا كذب .. كذب محض . هل أنا مجنون لأصدق كلام هذه المشعوذة .

وشعر بكره شديد لهذه العرافة . وهاجت نائرة نفسه عليها فقال مناجياً نفسه بحدة :

— لا أدري كيف تترك الحكومة أمثال هؤلاء المشعوذات يسلبن الناس تقودهم وينغصن عليهم أوقاتهم . كان يجب ان يُمنعن من دخول القطر ... هذا نصب واحتيال .

ثم توجه الى قهوة من قهاوى شارع فؤاد . وطلب مشروباً مثلجاً ثم جمل ينظر الى حركة الشارع ، وشارع فؤاد في هذا الوقت كله حركة وحياة . فلم يرض عليه وقت قصير حتى شعر بشيء من الراحة . وتنفس طويلاً وهو يتسلى بما يحدث أمامه . فالركبات على اختلاف أنواعها رائحة غادية . وصيحات كساريي الأثنيديوس وهم يصيحون على المبارة بكلماتهم المعتادة : « العباسية . الجيزة .

شبرا... الخ» تختلط بصيحات صبيان الجرائد وبمناداة الباعة الذين يهرون على القهاوى ببضائعهم يعرضونها على الجالسين ، ملحين فى شراء شئ منها . هذا بائع الأمشاط والمقصات والمطاوى يقف أمامك كأنه صنم لا يتحرك ولا يتركك الا اذا نال منك بضعة قروش نظير شئ يقدمه اليك . وهذا بائع السكتب يحمل عاموده الطويل وينادى بصوت خافت رزين كأنه فيلسوف استفاد من مطالعته . وهذا بائع الفزدق يحمل قفته ويشغل لك بما فيها وهو يتنسم ابتسامة اغراء وتحريض قائلا : « بالجوز والا بالفرد ياربين . » الى آخر ما هنالك من هذه المناظر المختلفة التى يحظى بها رواد القهاوى . وانتهى قاسم من تناول مشروبه المثالج قانتعش وهدأت نائرة نفسه فنظر الى البائعين نظرة فيها شئ من الرضى والاشترار . والبائع له نظرة بسلوكية يعرف بها رغبة الزبون . وهو فى ذاته يصح أن تدعوه عالم نفسانى (بسلوك) اختبر نفسية الناس على اختلاف مذاهبهم وطباعهم وعرف الطرق التى يستطيع بها أن يتصل برغباتهم . فلم يكده قاسم ينظر اليهم نظراته السالفة حتى انها لولا عليه ، الواحد بعد الآخر . فلعب مع بائع الفزدق « بالجوز والا بالفرد » . واشترى مبراة ومقصا وعدة امشاط لا حاجة له بها مطلقاً . وقدم له بائع التفاح أقة وزنهاله

ولفها في قرطاسها بدون علم منه . وجاءه أخيراً بائع الكتب
الفيلسوف ، يسير بتؤدة وتأدب ، بعد أن رمقه بنظرة من بعيد
فعلم أنه غنيمة باردة . أقبل عليه بدون دعوة وقرأه سلاماً طويلاً
تجلى فيه الخشوع والاحلال . ثم شرع يرص بضاعته على المائدة
يزاحم بها أقة التفاح وكوم الفزدق ووربطة الامشاط . ثم مسح شاربه
الاشيب وبدأ يتكلم برزانة كانه محاضر معتل منبر الخطابة في
احدى الجامعات . وقال :

— عندى لك اليوم ياسيدى البيه كتب فى مختلف العلوم
والفنون يمكننى أن اقدمها لك بنصف ثمنها الاصلى أو بأقل من
النصف . فرصة يجب أن لا تضيعها . هاك مثلاً كتاب مختار
العقد . ثمنه أربعون قرشاً فى المكتاب ولكنى أبيعه لك لاجل
خاطرك بخمسة عشر فقط . وانظر الى هذا الكتاب الانجليزى
المذهب يقولون انه ديوان شاعر كبير من شعراء الانجائز يمانل
شوقى بيه عندنا . هذا يمكننى أن اقدمه لك بعشرة قروش فقط
مع أن ثمنه ستة شان .

وشرع يُقلّب أمام قاسم عامود الكتب وهو يصف له كل
كتاب وصفا خاصا . ولم يتزحزح من مكانه حتى اشترى قاسم
منه ثلاثة كتب تقدمه ثمنها ثلاثين قرشاً .

وعاد قاسم الى منزله وقابل والدته وأخبرها ، كأنه يلهو
بكلامه معها ، أن بعض رفاقه ذهبوا به الى المراقبة بالرغم منه
حيث حظى منها بخبر سيء عن مستقبله . وأخذ يؤكد لها أنه لم
يهتم وإن يهتم بهذه النبوءة السخيفة . وبعد أن تناول طعام الغداء
ونام بعد الظهور نوماً متقللاً بالأحلام المزعجة خرج من المنزل الى
« جروبي » ليقابل الإخوان كالمعتاد .



وانقضت الأربعة أشهر وحل الميعاد الذى حددته العرافة
لمقتل قاسم .

مضى الشهر الأول وقاسم يجاهد فى سبيل التخلص من أوهامه
واحزانه . فكان تارة ينتصر وطوراً ينهزم . ففى أوقات انتصاره
حينما تتغلب حكمة عقله على أوهام نفسه كان يُشاهد طروباً لا يسكت
فه عن الغناء أو رواية النوادر والفكاهات . يذهب صباحاً وهو على
هذا الحال الى القهوة التى اعتاد أن يجلس فيها فيجتمع حوله الباعة
ويسلبون مامعه من نقود . وكثيراً ما يتجاذب معهم اطراف
الحديث فيقصون عليه مختلف القصص ويروون له افك النواذر .
ويذهب الى جروبي بعد الظهر حيث يقابل رفاقه وهو مزين معطر
يقبلهم واحداً واحداً ويأمر خادم المحل أن يأتى لهم بما يرغبون على
حسابه ، يفاكههم بأخباره السارة ورنين ضحكك بلاء المكان .
أما فى أوقات يأسه واضطرابه حينما يلبس للدنيا منظره الاسود
تراه اما فى حجرته لا يبرحها وقد برّح به التفكير واللم برأسه
صداع حاد ، أو فى قهوته جالسا جلسة الأسد المقهور يحاول أن يجلس
زفيراً حاراً ثائراً فى نفسه زفير الرغبة لينوح باكياً أو ليصرخ

شأناً . في هذا الوقت لا يقترب منه أحد والآن خاطر بيضاوته
وناله بعض ركلات مؤلمة . وإذا ذهب الى جروبي بعد الظهر
ليقابل الاخوان ، قابلهم بوجه العابس الغضوب . وانتحى ناحية
منفردة لا يتكلم . وإذا تكلم فغن الموت الذي ينتظر كل كائن
حتى على وجه الارض ، وعن فساد نظام العالم الذي تعم فيه
المظالم . ولا تنتهي عادة هذه الازمة الا بنوبة بكاء حاد يطلق فيها
الغنان لآلامه . ولم تعذبت والدته من أجله . فكانت تهرع الى
حجراته مرتاعة حينما يطرق سمعها نواحه العالي فتحتمضه كما كانت
تحتضنه طفلاً ، وتغمره بقبلائها ما زجة دموعه بدموعها .

أمضى قاسم الشهر الاول لا ترجح كفة سعادته على كفة نحسه
في ميزان حياته . ولكن ما كاد يقبل الشهر الثاني حتى بدأ نحسه
يتغلب على سعادته . وقوى اعتقاده في اقوال العرافة فخيم عليه
حزن عميق وآلام صامتة . وقلّ خروجه من المنزل فلم يعد يراه
الرفاق الا نادراً .

ولما حلّ الشهر الثالث تطورت نفسيته فغلب عليه الاستسلام
فكان يشاهد واجها ، لا يدلّ مظهره على حزن أو فرح . واعتراه
نوع من التشف والزهد وميل الى العبادة والتكفير عن سيئاته .
فأكثر من الذهاب الى المساجد يؤدي فيها فروض الصلاة . وأمّ

أضرحة الاولياء يزورها ويفرق العطايا على فقراءها . وأهل زينتته وهجر عطورره وكفّ عن الذهاب الى القهوة وجروبي . وكثيراً ما كان يقصد القرافة لينزور موتاه . وأتجه فكره الى اختيار مكان بجوار قبر والده ليمده قبراً له . ومن ثم أخذ يفاوض العمال ليقيموا له قبراً من الرخام الثمين ، مزينا بالآيات القرآنية ذات الخط الجميل . وكان اذا كلمهم لا يختلج صوته باضطراب أو انفعال ، هادئ مطمئن كأنه يفاوضهم في بناية منزل فاخر له . وربما ناقشهم في التكاليف كأنه يناقش كاتب حسابه في مصروف منزله . وزرع في المقبرة أنواعاً من أشجار الظلال ومجموعة من الورود كان يتعهد بها بنفسه في رضى تام . ثم جعل يصلح ماتهم من المقبرة ويجهز غرف الجلوس بكل ما يدعو الى راحة الزوار .

وانقضى هذا الشهر في خير وسلام من غير جلبة ولا نواح . وهل الشهر الرابع فإذا بصاحبنا ملّ التقشف والعبادة ورغب عن الاستسلام . رأى الايام تنقضي سراعاً ووجد نفسه يجري معها الى نهايته المؤلمة . شهر واحد باق له في هذه الدنيا ثم يرتحل بعده الى عالم الموت ، تاركاً خلفه مسرات الحياة ، وهو في سن المسرات والاحلام . فتأثر على نفسه وعلى الدنيا بأجمعها . ومن ثم بدأ « رد الفعل » يتجلى في كل أقواله وأعماله . فاذا به يقود نفسه الى

هاويات الضلالة والفجور ، مستسلما لغرائزه الحيوانية . فنجرب كل أمر منكر وآتى كل معصية . وكان شهرا رهيبا لم يعلم فيه قاسم ليله من نهاره فكانه يعيش مع الابالسة يشاطرهم حياة الضلال والفسادة وأفاق من هذه الغفلة وهو اقرب الى الموتى منه الى الاحياء ، والى المعتوهين منه الى العقلاء . جسم ضامر كهيكل المومياء وعيون غائرة . تائهة منطفئة اللمعة . وكلام أقرب الى الهذيان . فاضطر الى ملازمة فراشه واستدعاء الطبيب لمعالجته .

لقد انتهت الاربعة الأشهر وأقبل الشهر الخامس وهو الشهر الذى سوف يهوى على رأسه سيف القضاء فى يوم من ايامه الاولى فبلغ ذعره مبلغاً شديداً ، متخيلاً فى كل لحظة ان ساعته دنت . ولم يعد ينام الا نوما مضطربا متقطعاً وهو يحس برغبته فى الحياة وكرهه الموت . واذا ما صحا جعل يفكر منزعجاً فى امر الميتة التى سوف يلقاها . فاذا به يتخيل سقوط سقف الغرفة عليه او مدامه للصوصل له . او يتوقع حدوث زلزلة هائلة تدك المنزل دكاً . فاستدعى المهندسين والعمال ليدعوا سقف الغرفة والحيطان ويستبدلوا اقفال الابواب القديمة باقفال حديثة الطراز . ثم حصل على مسدس حشاه بالرصاص واخذ يتمرن فى الغرفة على الرماية . وألحق بخدمته الخفراء ليحرسوه . وكان يقوم من فراشه بالرغم

من هزاله يستند على والدته أو على أحد خدامه فيبحث بنفسه في
الغرفة بحثاً دقيقاً ، يفتش في أركانها ومخابئها ، ينظر تحت السرير
والموائد والمقاعد . ولا يعود الى مكانه الا اذا تأكد أنها خالية
من اللصوص . وكان يصحو من النوم صارخاً وقد خيل له في الحلم
أنه تحت عجلات القطار . وكان يمسك الساعة في يده يراقب
عقربها باهتمام وخوف ويصيح قائلاً :
— ان الدقائق والساعات تمر بسرعة لا يتصورها العقل ..
أهكذا تمر الحياة مني ؟



وفي مساء اليوم السادس بلغ ذعره أقصاه . فجمع حوله كل من في المنزل ليأتس بهم . وكان ينصت لأقل حركة تحدث في الحجرة . فاذا طرق سمعه همسة صغيرة أو كحة مكتومة بدرت من صاحبها بالرغم منه ، أجفل صارخاً مرتاعاً . فاضطر من كان في الحجرة أن يازموا الصمت التام وأن يقفوا كالأخشاب بلا حراك . ولكن هذا لم يمنع قاسماً أن يشاهد اشباحاً تظهر أمام ناظره وتختفي وأن يسمع تقرأ على الأبواب والنوافذ ، وصراخاً وندباً وقرعاً على الدفوف (صوت مقرأ يترتل القرآن في مآم) .

واختفى كل شيء حوله . وأخذ يحقق بعينين تائهتين في شيء مبهم امامه ، لا يحول نظره عنه . وكان صوت مرتل القرآن قد طغى على الاصوات الأخرى فلم يعد يسمع قاسم شواه . فتوهم ان القرآن يُرتل في مآمه وأنه قد انتقل الى عالم الارواح . فشمله هدوء عظيم . وبدأ فيه ينفرج عن ابتسامة لطيفة تعبر عن انقلاب نفسه . وفي لحظة واحدة تلاشى من قلبه الخوف من الموت وحل مكانه الاطمئنان . ورأى الموت شيئاً ليس مخيفاً ولا كريهاً بل بالعكس

محبوباً جميلاً : انتقال بسيط لا يكاد يشعر به الإنسان . حياة أخرى . وجود آخر ينعم فيه بعيش هادئ .

وكان الضعف قد بلغ عنده منتهاه فاستسلم لنوم لذيذ كان يحدّر جسمه رويداً . فاذا بأعضائه تسكن مرتاحة تحت تأثير ألم شهى يشعر به الإنسان المتعب اذا غشيه النعاس تحت يد الدلاك واذا بشفتيه الجافتين ترتجفان ووجهه الممتقع يتقلص ببطء وجفنيه المطبقين يهتزان هزات عصبية . . وكان النعاس المجهول ينشر لواءه السحري على هذا الجسم البالي المهدم . فاذا بهدوء شامل وسكون تام .



(تم الكتاب)

وله

الحاج سبي

مجموعة أفاد بعض مصرية مزينة بصور عربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المطبعة السلفية - ومكتبتها
لصاحبهما: محب الدرة لبيب وعبد القادر

القاهرة سنة

١٣٤٧ و ١٩٢٨

فهرس الكتاب

صفحة	
٣	١. كلمة المؤلف عن « رجب افندي »
٥	٢. قصة رجب افندي
١١١	٣. كلمة المؤلف عن « المحكوم عليه بالاعدام »
١١٢	٤. قصة المحكوم عليه بالاعدام

فهرس الصور

جميع صور الكتاب من عمل

حسين افندى فوزى الرسام

صفحة

٨	أم نبوية
١٠	الشيخ عبد الوهاب المكي
١٥	من .. من هنا .. تكلم من أنت ؟
٢٢	الشيخ عبد الحى
٢٥	وشاهد في الظلام وجهاً غريباً
٣٤	وبعد لحظة انفتح الباب وظهر على عتبة .. (الحاج حاجيان)
٣٨	جلس الثلاثة حول المنضدة
٤٩	وصاح الرجل قائلاً : صل على سيدك وحيبيك النبي
٥٦	وكانت يد رجب تلف صاعدة نازلة
٦٣	المعلم فتوحة

صفحة

- وشعر كأن يداً هائلة تقبض على خاصرته وتقذف
 به في هاوية من اللهب المتأججة ٧٧
 وجعل ينفخ الدخان من فيه وأمنه بكثرة وعلى أشكال متعددة ٨٤
 وضرب جبهته بيده وقال ٨٧
 وشعر كأن الغرفة قد امتلأت بالشياطين . . ٩٢
 ووضع يده على كتفه وهزه بدعايه مطمئناً إياه . ٩٩
 وهذا الشخص هو ام نبوية التي كانت تذهب لزيارته كل أسبوع . ١٠٨



ما صدر من مؤلفات محمود تيمور

(١) الشيخ جمعة

ظهرت حديثاً الطبعة الثانية منه منقحة ومزينة بالرسوم

(٢) عجم متولى

نفدت طبعته الاولى . وسيعاد طبعه للمرة الثانية منقحة
وبصور عديدة .

(٣) الشيخ سيد العبيط

أوشك أن ينقد . الكتاب مُصدّر بمقدمة طويلة عن نشوء
وتطور البلاغة القصصية

(٤) رجب افندى

والمحكوم عليه بالأعدام

قصتان مصريةتان عصريتان تصوران حالات الفزع والرعبة
وفيهما تحليل للنفس المريضة :

(٥) الحاج شاذلى

مجموعة أقاصيص مصرية تحت الطبع
وغير ذلك من المجاميع التى تحت التحضير.



اطلبوا

الطبعة الثانية من مجموعة أفانيس

ما تراه العيون

(مزيّنة بالصّور)

لفقيه الأدب والمسرح المرحوم

محمد تيمور

أول مجموعة قصصية مصرية نالت إعجاب الأدباء عامة .

ظلمة الأسلوب . رائعة الموضوع . خلاصة الفكاهة

اعلنه

لرُصْحَابِ الْمَطَابِ

فِي الْفَطْرِ الْمَصْرِى

كافة الطلبات المتعلقة بمؤلفات محمود تيمور وكذلك « ماتراه
« العميون » للمرحوم محمد تيمور يُخَابِر بشأنها :

المكتبة والمطبعة السلفية

بشارع الاستئناف . خلف المحافظة . ميدان باب الخلق

القاهرة « مصر »

طلبات الجملة بأثمان خاصة

والمؤلفات تُطلب أيضاً من المكتاتب المشهورة في مصر
وأهمها : المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي . ومكتبة الوفد
بشارع الفلكي بباب اللوق . ومكاتب الهلال والعرب وسركيس
بشارع الفجالة .

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
٥	١٣	١٠	الصيرنة	الصغير
٤٢	٦	١١	لا تسأل عنها	لا تسأل عنها شيئاً
٥٩	١٤	٨	نخذله	نخذله
٨٠	٣	٦	بنور	بالنور
٨١	١٣	١	شمر	وشمر
١٢١	الآخر	٥	جاءت	جادت
١٢٤	١٢	٢	هذا المحل	هذا هو المحل
١٣١	٥	٦	تعلمنا	تعلمتها
١٤٦	٨	٤	(صوت مقرأ الخ..)	وصوت مقرأ الخ..
١٥٥	٣	٤	في القطر المصري	في القطر المصري والخارج







OLIN
PJ
7864
.A5
R35
1928